د. مصطفى حسين بطيخة

الاغتصاب

مسرحيات

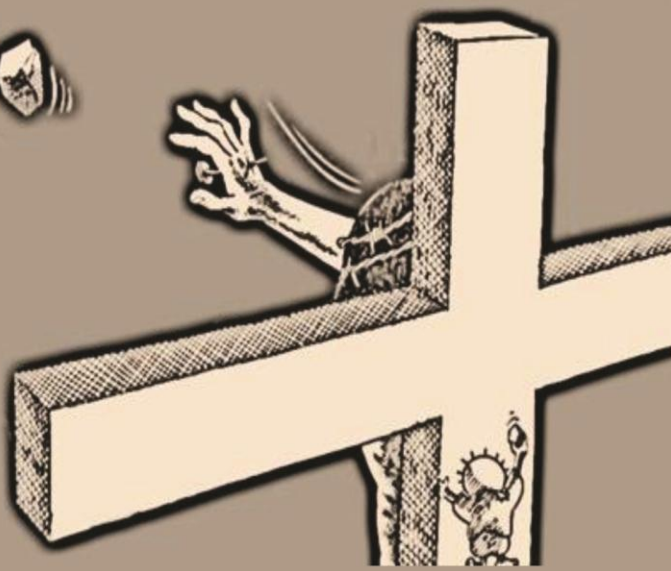

تقديم:

أ.د. أحمد نسيم برقاوي

الإغتصاب

د. مصطفى حسين بطيخة

الاغتصاب

مسرحيات

تقديم:

أ.د. أحمد نسيم برقاوي

2024

اســم الكتـــــاب: الاغتصاب

المــؤلـــــــف: د. مصطفى حسين بطيخة

عدد الصفحــات: 126

قياس الصفحــة: 14×20

الطبعـة الثانية مزيدة: 2024، طبع لأول مرة في العام 2003 من ثلاث مسـرحيات فـي دار الـذاكرة للنشـر والطباعـة والتوزيع في بيروت.

حقوق النشر والطباعة محفوظة للمؤلف

الإهـداء

عندما كنت أسأله عن الفرح كان يصنعه لي ويعلمني دائماً كيف أصنعه، وعندما كنت أسأله عن الوطن، هل مازال بعيداً؟، كان يقول لي بأنني أستطيع أن أصنع على الورقة الوطن الذي أحب، شرط أن أعانقها، أن أحترق فيها، لأن الوطن يزداد اقتراباً حين نعانقه ونحترق فيه.

إلى وطني الأول
والدي
الأستاذ حسين بطيخة

* * *

مـقـــدمـــــة

بقلم: أ. د. أحمد نسيم برقاوي

العام 2003

ينتمي الكاتب المهندس مصطفى بطيخة إلى صنف المثقفين العضويين، وليس المثقف العضوي إلا ذاك الذي يقيم علاقة بين إبداعه وهموم البشر. فما أن انتهيت من قراءة مسرحياته الثلاث حتى أعادت لي مفهوم الأدب الملتزم الذي راح البعض ينال منه بحجة اهتمامه بالموضوع دون الشكل، أو بحجة المباشرة في خطاب الناس.

لكن المسألة-فيما أظن الآن- هي في إعادة الاعتبار إلى هذا المفهوم بعد أن لوثه أنصاف المبدعين.

إذ ليس هناك أي ترابط بين الالتزام والإخلال بشروط الإبداع، كما أنه لايفضي الالتزام بقضايا البشر إلى مخاطبتهم بالطريقة المباشرة.

فمسرحيات مصطفى بطيخة قد حققت مطلب الإبداع وشروطه، ومبدأ الالتزام بمعناه الغرامشي للكلمة، أي حقق مصطفى معيار المثقف العضوي المبدع.

إذ أنني على قناعة بأن أمة تعاني من حجم كبير من المشكلات المصيرية، كالاحتلال الصهيوني لفلسطين، والصراع من أجل تحقيق سيادتها واستقلالها، وكنمو الوعي غير المطابق، والذي ينشر الوهم بكل أشكاله، إن أمة من هذا القبيل لاتتحمل إطلاقاً مثقفاً ذاتياً، متشرنقاً بمشكلات ضيقة، أو نازعاً لنشر ثقافة التسلية في وطن يتطلب موقفاً جدياً من الحياة.

مصطفى بطيخة يحول مشكلات الأمة وهمومها إلى مشكلاته وهمومه، وتبدو أهمية ذلك إذا ماعرفنا أن كاتبنا ينتمي إلى جيل الشباب الذي لم يعش مرحلة النهوض الناصري القومي، ولم يتشرب بذلك الحماس الذي طبع جيل الأحلام.

إنه المثقف الكاتب الذي يعيش تجربة الهزيمة، وشيوع اليأس وظهور الداعية النكوصي. وهو رغم هذا كله يقدم لنا نصاً ممانعاً متمرداً مفعماً بالأمل، نصاً يؤكد إرادة الحياة التي تسعى

ايديولوجيا الهزيمة لكسرها، نصاً جوهره "**اللا**" في عالم أدمن "**النعم**" الكاذبة.

نصوصٌ مسرحية ثلاثة أرادها الكاتب أن تكون فلسفة في الفعل والأمل معاً، أراد صاحبها أن يمارس عبرها النقد كموقف رفض، وتعبير عن الحرية.

لكن قولنا أن صاحبها أراد منها أن تكون فلسفة في الفعل والأمل معاً، لايعني على الإطلاق أن مسرحه هو مسرح أفكار قد ألبست شخوص الحوار بل على الضد من ذلك، فشخوص مسرحياته هم أبناء الحياة الواقعية جداً، لأن قضاياها بالأصل قضايا معيشه.

ولا أدل على ذلك من أن المسرحية الأولى والتي حملت عنوان "**الاغتصاب**" هي تمثيل رمزي لاغتصاب فلسطين.

ففلسطين هي الفتاة الجميلة، والغريب هو الحركة الصهيونية والأخوة هم الدول العربية، والمختار رمز السلطة، وأهل الحارة هم الشعب. يضعك عنوان المسرحية فوراً في حقل الوجود المأساوي "**الاغتصاب**" المفهوم الذي يحمل كل

الدلالات المنافية للحق وللشرف وللكبرياء. وحين يتم الاغتصاب أمام مرأى من الأخوة الذين لايحركون ساكناً، يصل الوجود الإنساني إلى انحطاطه المطلق.

"**يتدافع أهل الحارة باتجاه الدار، ويلتقون بالمختار والأخوة الأربعة فيجدون الغريب واقفاً وخنجره يقطر دماً، والفتاة جثة هامدة**"

أما في "**الأحلام تعود دائماً**" فهي الصورة المقابلة للاغتصاب. هاهو الفلسطيني وقد تحول فدائياً. الفدائي حلم الأمة، حلم الشعب، المختار في "**الاغتصاب**" يتحول إلى الأسود في "**الأحلام تعود دائماً**" وأهل الحارة مازالوا هم في الاغتصاب.

يحلمون جميعهم بالفدائي، لكنهم يتنكرون لظهوره خوفاً من "**الأسود**" . لاتنحصر دلالة الفدائي في الخلاص الفلسطيني، بل يغدو-أي الفدائي- معنى عاماً، إنه النقيض للمختار وللأسود وللغريب، ولهذا يتحالف الكل ضده بما في ذلك المفتي، رجل السلطان.

لكن الفدائي بما يحمل من معنى كلي، عصي على الموت. إنه الروح المتمرد الساري في نفوس البشر، إنه طائر الفينيق.

في المسرحية الثالثة "**سكرة**" يعري الكاتب الواقع اللامعقول بشكل ساخر. وعالم اللامعقول هو عالم الزيف الذي تسعى السلطة إلى تعميمه، وعالم القمع الذي يودي بالعقل والحياة.

عالم السلطة في "**سكرة**" أوسع من مجرد سلطة سياسية، إن السوطي هو الآخر سلطة، لافرق بين السوطي والضابط أو ..أو... اللامعقول يصل حده في الحركة اللاإرادية اللاواعية للتصفيق. الشعب يتحول إلى أيدي، أيدي فقط، ولكنها ليست الأيدي التي تعمل وتقاتل، بل التي تصفق.

السخرية هنا تقوم بوظيفة تحريضية انتصاراً للكرامة الإنسانية المفقودة، انتصاراً للعقل الذي لم يعد باستطاعته أن يفكر إلا إذا فقد سيطرته على نفسه، **إلا إذا سكر**. فالأنا المستلبة من السلطة ممتثلة، فيما الأنا التي لم تعد مسيطرة على المكبوت سرعان ماتتحرر فتقول الحقيقة.

لقد سمحت لي هذه المسرحيات الثلاث بنمط كهذا من القراءة، دون أن تستنفد بالطبع القراءة، إذ تظل نصوص مصطفى بطيخة حاملة لإمكانيات متعددة.

ولست أريد أن استبد بالقارئ العزيز ولهذا آثرت أن لاأقدم عرضاً لمسرحياته في تقديمي هذا. كل ماأردته أن ألتقط الفكرة، أو قل فكرة تؤكد انحياز مصطفى إلى الكتابة بوصفها فعلاً مكافحاً، فعلاً جمالياً يختزن في داخله الانتماء إلى البشر ومستقبلهم.

* * *

المسرحية الأولى
الاغـتـصــاب

الفصل الأول

" يفتح الستار على مسرح من قسمين، الأول عبارة عن غرفة في منزل، والثاني عبارة عن حارة، وداخل الغرفة تبدو فتاة تسرح شعرها الطويل وتجدله وتضع فيه وروداً حمراء"

الفتاة: –منشدة–

ورجعت الشتوية

رجعت الشتوية

ضل افتكر فيي

ضل افتكر فيي

رجعت الشتوية[1]

---

1 أحد أغاني فيروز.

"يدخل على الفتاة أربعة رجال"

الأول: نعم حقاً لقد عادت الشتوية باردة يا أختاه.

الفتاة: أريد أن أخبركم بأنني عدت وشاهدت الرجل الغريب ثانية، وهو يحوم حول دارنا، وقد أخافني هذه المرة عندما أخذ في طرق الباب علي بصورة مزعجة.

الأول: لاتخافي فقد أخبروني أنه آت من حارة مجاورة، وهو يبحث عن منزل يشتريه، ولابد أنه يطرق الباب ليقابل أحدنا، في المرة القادمة عندما يعود إلى طرق الباب، أخبريه بأننا لانريد بيع المنزل.

الثاني: في الأصل يجب ألا تخافي، فنحن من حولك وقد رأيت فعالنا من قبل، عندما هجمت بعض الحارات المجاورة على حارتنا ماذا فعلنا.

الثالث: والله لازلت أذكر هذه الحوادث وكأنها البارحة، صحيح أنهم في البداية دخلوا وكادوا يصلون إلى بيتنا، ولكننا في النهاية أبعدناهم وطردناهم من الحارة كلها.

الرابع: حقاً لقد كانت أياماً عصيبة دامية، فمنذ أن قتل كبير حارتنا في أول اشتباك، كانت لنا جولات عديدة، هزمنا حيناً وانتصرنا أحياناً أخرى، لبسنا السواد بعض الوقت ولكننا ألقيناه بعد ذلك إلى غير رجعة، وكم من أبناء حارتنا قاتلوا بشرف والبعض قتل بشرف، ولكننا ثأرنا بعد ذلك.

الأول: أتعلمون ياأخوتي، لازالت زغاريد أمي التي كانت تطلقها عند عودة أبي من كل اشتباك تتردد في أذني حتى اليوم، آه كم كان مهيباً، لقد كان كل شئ فيه يوحي بالعزة والكبرياء.

الثاني: لازلت أذكره، حتى أن أحد فتيان حارتنا قال فيه شعراً، يقول:

كنتَ المُبَرِّزَ في سَاحِ الوَغَى بَسِمَاً
والمَوْتُ يُمْطِرُ من أَهْوَالِه دِيَما
في عُصْبَةٍ مِن أُبَاةٍ يَدْلِفُونَ إلى
مُنَاهُمُ والمَنَايَا تَغْمُرُ القِمَمَا

إن كشَّرَ المَوْتُ عَنْ أنيابِهِ ضَحِكُوا
هُزْءَاً بِهِ، واسْتَمَاتُوا في الوَغَى قُدُمَا
وذِي مَخَالِبَ يَحْيَا في العَرْين على
إبَائِه ويَرَى صَحْرَاءَه حَرَمَا
يُدِلُّ في الغَابِ إن هَاجَتْ بَوَادِرُه
ألقَى عَلى طَالِبِي إرغَامِهِ حُمَمَا
يَمْشِي فَخُوَراً، وأُسْدُ الغَابِ تُعجِبُهَا
مَعِيشَةُ الحُرِّ ماقَاسَى وما أَلِمَا [1]

الثالث: حقاً لقد استطاعت حارتنا بتآلفها ووقوف أبنائها قلباً واحداً، أن تترك العديد من القصص التي لاتنتهي والتي لايكف حكواتي قهوتنا عن روايتها كل مساء.

الفتاة: ولكن المهم الآن يإخوتي هذا الغريب، إنه ينتظر دائماً خروجكم ليطرق علي الباب.

الرابع: لاتخافي فنحن أربعة وهو واحد، إنه أحمق إن فكر في تحدينا، إن هي إلا أوهام يصنعها الخوف، فاطرديها من رأسك.

---

1 للشاعر عمر يحيى في حفل تأبين الشهيد سعيد العاص العام 1937.

الفتاة: ولكن صديقاتي من بنات الحي، أخبرنني عندما زرنني في المرة الماضية أنه يكثر الحديث عني.

الأول: إنهن يمزحن فقط.

الفتاة: ولكنني حقاً خائفة، فلو أنكم رأيتم شكله، إنه حقاً لمخيف، وأذكر أنني رأيته سابقاً، في الهجوم الأخير للحارة الشمالية علينا، ولكنه اختفى عندما غادروا، والآن ظهر ثانية.

الثاني: على كل نحن قريبون منك فلا تخافي، وأنت تعلمين كم نحبك، فلقد أوصانا والدانا بك قبل مماتهما.

الفتاة: أعلم ذلك ولكن حبذا لو تتركون لي سلاحاً في البيت.

الثالث: الأسلحة لم تخلق للنساء، هل تريدين لبقية الحارات أن تعيب علينا ذلك.

الرابع: على كل سنسأل مختار الحارة الشمالية عن هذا الغريب، فإذا وجدنا في الإجابة شيئاً مريباً فسنتصرف.

" يغادر الأخوة الغرفة، ويضاء الجانب الآخر من المسرح، ويظهر رجل خلفه لوحة كتب عليها "مختار الحارة الشمالية"، وأمامه الأخوة الأربعة"

الأول: يامختار الحارة الشمالية، لقد جئنا كي نسألك عن شخص أحضرتموه معكم إلينا في آخر هجوم لكم علينا، قبل أن يعم السلام والود بيننا وننسى الماضي، لنبني معاً مستقبلنا نحن وأنتم.

المختار: ألا زلتم تسمونه هجوماً، أنتم لم تفهموا قصدنا يومها، فقد جئنا خاطبين لإحدى بناتكم ورفضتم يومها أن تزوجونا.

الثاني: فما كان منكم إلا أن قتلتم كبير حارتنا.

المختار: لقد كان مجرد شجار فقط، ويومها هو من بدأ الشجار وأنتم تذكرون ذلك.

الثالث: هذا صحيح ولكن لأنكم حاولتم أن تتعرضوا لبنات حارته.

المختار: طيش شباب.

الرابع: على كل تبقى لنا ذاكرتنا، ولكن لنعد الآن إلى موضوعنا الذي جئنا لأجله، وساعدنا في معرفة شئ عن الرجل الذي يزورنا بين الحين والآخر.

"**يخرج المختار من درجه مجموعة من الصور يعرضها أمامهم**"

المختار: انظروا إلى هذه الصور فقد عاش عندنا غرباء كثر.

الأول: -مشيراً إلى إحدى الصور- هذا هو، هذا هو، فأنا أذكر أنني رأيته ذات مرة.

المختار: أهذا هو من تقصدون، إنه أحد من عاش في حارتنا، وتعلم في مدارسنا أيضاً، وهو لو تعلمون كم يحمل من المشاعر الإنسانية النبيلة، ويعمل جاهداً أن يعيد العالم إليها.

الثاني: هذا مااعتقدناه أيضاً ولكننا أردنا أن نطمئن أكثر.

المختار: لاتلقوا لذلك بالاً، وأنا أكفله لكم، وإذا مابدر منه شئ -مع علمي بأن ذلك لن يحدث- أخبروني، وسأعمل على تسوية الخلاف بينكم.

الثالث: الآن نستطيع أن نغادر و لـن ننسـى الكـرم الـذي لقيناه منكم.

"**يغادر الجميع المسرح**"

"**يظهر رجل يرتدي معطفاً أسوداً،وقبعة سوداء وله لحية طويلة، وسالفاه طويلان أيضاً، يسير بشكل حذر باتجاه البيت ويطرقه**"

الفتاة: من أنت؟

الغريب: أنا من جاءك سابقاً ولم تفتحي لي، وأنا هنا من أجلك فقد أعجبتني عندما رأيتك ذات مرة في هجوم الحارة الشمالية، ولم أنسـك منـذ تلـك اللحظـة، أي سـر فيـك إنـي لسـت أدري، آه على شعرك، آه على وجهـك، كـل شـيء، كـل شيء.

الفتاة: انتظر حتى يعود اخوتي.

"**يضرب الرجل الباب بقدمه بقوة فيحطمه**"

الغريب: حتـى يعـود أخوتـك، أهـذا مـاتجيبين بـه رجـلاً مثلي.

الفتاة: ابتعد وإلا صرخت.

الغريب: تصرخين-ضاحكاً- ومن في الحي ليسمعك، فقد ذهب الجميع، لقد ساعدتني الحارة الشمالية في إرسال بطاقات لهم لحضور حفل عشاء عندهم.

" **يتلمس الرجل الفتاة**"

الغريب: آه ماأجملك، أنت كما أنت مذ رأيتك أول مرة، يالثغرك الجميل الأحمر المشقوق كوردة مبتلة من لحم ودم.

"**يحاول الغريب تقبيل الفتاة فتدفعه، وتهرب الفتاة صارخة إلى خارج المسرح، ويتبعها الغريب**" "**صوت صراخ وعويل من خارج المسرح، يصادف دخول الأخوة الأربعة، وقد سمعوا الصراخ**"

الأول: إن الصراخ قادم من بيتنا.

الثاني: انظروا إن الباب مكسور وكأن ثوراً قد حطمه.

"**يدخل الأخوة الأربعة، وينادون على أختهم، فيظهر الرجل وهو يسير متثاقلاً، ثم تظهر خلفه الفتاة ممزقة الثوب، وشعرها متناثر على وجهها**"

الفتاة: -صارخة- لقد اغتصبني.

الثالث: -ساحباً خنجره- سأقتلك أيها الوغد.

"يمسك الأخوة الثلاثة الباقون بأخيهم الثائر"

الرابع: لقد تم الأمر ياأخي، والآن شرفنا هو من يجب أن نفكر به، فلو علم أحد بهذا الأمر، لصار حديثنا على كل لسان، وستصبح سيرتنا مضغة في الأفواه.

"يخرج الرجل الغريب في هذه الأثناء هارباً بسرعة من الدار، وتسقط الفتاة على الأرض وهي تلطم نفسها"

الفتاة: لقد أخبرتكم ولم تصدقوني، وفضلتم أن تصدقوا مختار الحارة الشمالية، والآن ليقتلني أحدكم.

الأول: وماذا نستفيد من قتلك، إن ذلك سيزيد من فضيحتنا، فالجميع عندئذ سيعرفون، لذلك أرجوك ياأختي أن تصمتي لئلا تفضحينا.

الفتاة: -صارخة- وهل تسكت مغتصبة.

الثاني: فكري بنا، بآبائك وأجدادك، فكري بحارتنا من نظرات الحارات الأخرى، ونحن بدورنا نعدك بألا يتكرر الأمر وأن نبحث في حل لهذه المشكلة.

الفتاة: سأنتظر ولكن تذكروا بأنني مغتصبة، مغتصبة.

الفصل الثاني

"الأخوة الأربعة جالسين خارج الدار"

الأول: يالهذه المصيبة التي لم تكن لا على البال ولا على الخاطر، والتي ستجعلنا نترك أعمالنا وأشغالنا ونحن نفكر بها تاركين قوتنا وقوت عيالنا.

الثاني: ومن كان يتوقع أن شيئاً كهذا سيحدث، حتى أن صديقنا مختار الحارة الشمالية أكد لنا بأن هذا مستحيل الحدوث.

الثالث: لو تركتموني أقتله فقط.

الرابع: مازلت مستغرباً فنحن أربعة وهو واحد.

الأول: يكفي الآن، يجب أن نفكر بعمل شيء ما، لأن أختنا أراها كل يوم تذوي، وأخشى أن تفقد صبرها وتفضحنا.

الثاني: البارحة فقط زارتها جارتنا، وقد لاحظت بأن شيئاً غريباً قد حدث، ولولا قدومي في اللحظة الأخيرة لافتضح أمرنا.

الثالث: أضف إلى ذلك أنها مزعجة، فهي لاتكف تسألني يومياً عما سنفعله وكأننا لانفكر بالأمر.

الرابع: أرى بأن الحل الأفضل هو أن نعثر على الرجل ونجبره على أن يتزوج منها، ومن ثم يطلقها.

الأول: هذا ماأفكر به أيضاً، لنبدأ بالبحث عن الرجل.

"**يظهر الأخوة على المسرح وبينهم الغريب**"

الأول: لقد أتعبتنا ونحن نبحث عنك، وأنت تعلم جيداً ماذا فعلت، وأن الشرر يتطاير من أعيننا، ولو أردنا قتلك لفعلنا.

الثاني: ولكننا فكرنا بأن نثبت للحارات الأخرى بأننا لسنا همجيين لكي نقتل دون أن نسمع ونفكر.

الثالث: نعم فنحن قوم نضع العقل أولاً ثم العاطفة.

الرابع: لذلك فقد وجدنا أن نعرض عليك حلاً يجنبنا سفك الدماء.

الغريب: حقاً إنكم لقوم عقلاء.

الأول: إننا نعرض عليك أن تتزوج أختنا.

الغريب: والمهر؟

الثاني: أختنا ليست للبيع لذلك لن نطلب مهراً.

الغريب: ولكننا هنا سنقع في إشكالية دينية وأنا أرفض ذلك.

الثالث: يبدو أنك لم تفهم بعد ماسنفعله بك، وتريد أن تعقد الأمور علينا وعليك.

الغريب: أبداً، أبداً، ولكني أعتقد بأن الأمر لو بدا كخطيفة فسيكون ذلك أفضل، عندها ستكون حجتنا أفضل في عدم وجود مهر، وحتى عرس.

الرابع: انتظر لنتشاور.

"**يتنحى الأخوة جانباً آخذين بالتشاور**"

الرابع: أنا أرى رأيه صائباً، كما أن الحل الذي اقترحه هو حل اقتصادي بالدرجة الأولى، فهو سيوفر علينا حتى تكاليف الزفاف، وأنتم تعلمون بأن ماحدث مؤخراً استهلك منا قوتنا ونحن نفكر في حل لهذه المحنة.

الأول: وعندما يعود بها وقد تزوجا رسمياً، نطالبه بالطلاق.

الثاني: على خيرة الله.

"**يعودون إلى الرجل**"

الثالث: حسناً، حسناً، لقد اتفقنا ولكننا اليوم سنخبر أختنا وغداً مساء تأتي لتخطفها، واحرص على أن يكون كل شي مجهزاً، وأن ننتهي من الأمر سريعاً.

الغريب: هذا شيء مؤكد، وإلى غد إذاً.

"**يغادر الرجال الساحة**"

"**تعود الإضاءة إلى الغرفة، وتظهر الفتاة ومن حولها إخوتها**"

الأول: وهذا ماتفقنا عليه يا أختاه.

الفتاة: وهل أنتم واثقون بأن كل شيء سيتم تنفيذه بدون أدنى خطأ.

الثاني: طبعاً، طبعاً، وهل نسيت بأن لك أخوة أشداء، ولو أنك رأيت وجهه لعرفت ذلك.

الثالث: وماذا نخسر فلنجرب.

الفتاة: ماذا قلت ياحبيبي؟ ماذا قلت ياعيني؟ أنا التي أُغتصَبُ وليس أنت!!.

الرابع: إنه يمزح، المهم أن تفتحي له الباب ولاتخشي شيئاً.

"يضاء المسرح ويظهر الرجل سائراً باتجاه الدار، ثم يدفع الباب فيجده مفتوحاً"

الغريب: هانحن ثانية يافتاتي.

الفتاة: هيا ليتم الامر بسرعة، أين الحصان؟.

الغريب: عن أي حصان تتحدثين؟

الفتاة: حصان الخطيفة، أم سنأخذها مشياً على الأقدام.

الغريب: صحيح، إنه في الطرف الآخر من الدار.

"يغادران المسرح"

"صوت الفتاة وهي تصرخ ممتزجاً بصوت الغريب ضاحكاً"

"يخرج الرجل مسرعاً من الدار"

"يعود الأخوة إلى الدار، فلا يجدون أحداً"

الأول: لابد أن الاتفاق قد تم، ومن المؤكد أنهما الآن عند أحد المشايخ يكتبان كتابهما.

الثاني: أخيراً سنرتاح من هذا المأزق الذي وقعنا به.

الثالث: أستطيع منذ اليوم أن أنام .

الرابع: لن نرتاح قبل الطلاق.

"**تخرج الأخت، وهي تسير متثاقلة، وشعرها متناثر على وجهها**"

الأول: -متفاجئاً- لم أنت هنا؟ وأين الغريب؟

الفتاة: -ضاحكة ثم باكية- لقد جاء ونفذ مااتفقتم عليه.

الثاني: ولماذا أنت هنا؟ هل طلقك بسرعة؟

الفتاة: لقد كان ينقصه الشهود، وقد ذهب لإحضارهم.

الثالث: ولكننا لم نتفق على وجود شهود فهذه خطيفة!!.

الفتاة: لقد أجل الموعد فالوقت ليل وجميع المشايخ قد ناموا.

الرابع: وهل غادر؟

الفتاة: -صارخة- نعم بعد ان اغتصبني للمرة الثانية.

" **الأخوة صارخين: لاتفضحينا** "

الفتاة: -صارخة- وهل تسكت مغتصبة.

" **يتردد صدى في المسرح: وهل تسكت مغتصبة** "

الفصل الثالث

"**يظهر الأخوة الأربعة على المسرح**"

الأول: لقد فضحنا ، فأختنا قد قررت عدم السكوت، وهي تتردد كل يوم على الحارات المجاورة تبحث عن الغريب، وتعلن أنها ستأخذ حقها بنفسها.

الثاني: لماذا لانقتلها ونغسل عارنا؟

الثالث: وماذا نقول لحارتنا، بأننا قتلنا أختنا التي اعتُديَ عليها وللمرة الثانية وبمعرفتنا، فنبدو كالسذج، يجب أن نقوم بتزويجهما أولاً، لتذهب الفضيحة، فيصبح صهرنا وليس مغتصباً.

الرابع: لماذا لانلجأ إلى الحارة الشمالية ؟، فهم يعرفون الرجل تماماً وربما ساعدونا.

"**يغادر الرجال المسرح**"

"**تضاء الدار، وتبدو الفتاة جالسة وحولها مجموعة من الفتيات الصغيرات**"

صغيرة(1): لقد حدثتني جدتي بأن شعرك كان جميلاً جداً.

الفتاة: لقد كان كشعرك الآن جميلاً أبداً، كان كحقل من القمح يتماوج عندما تداعبه نسمات الربيع الدافئة، وكم لأجله مات كثيرون، لأن أبي علمني أن أختار من أحب، ومات أبي، وجاء الغريب، فقصصته لأن إخوتي أرادوا إجباري على الحب، وللحب طقوسه التي علمني أبي ألا أنساها.

صغيرة(1): وعيناك هل كانتا جميلتين أيضاً؟

الفتاة: لقد كانتا جميلتين كعينيك أيضاً، ويوم كان أبي كانتا تشعان سحراً كاكتمال البدر في ليلة حالكة، ويوم مات أبي أراد إخوتي منحهما للغريب، فأطفأتهما لأن أبي علمني ألا أريهما للغرباء.

صغيرة(2): ولكن أبي يقول لنا بأنك أنت من فتحت الباب للغريب ياعمتي!!.

الفتاة: آه كم كنت وحدي ياابنتي، وحين جاء الغريب لم يجد أحداً على الباب فخلعه، حتى أنهم لم يتركوا لي شيئاً لأقتله أو **لأقتل به نفسي**، حتى أظافري قصوها حتى لا أنشبها في عنقه، أما

خناجرهم فكانت دائماً مصوبة نحوي أن أسكت صوناً للعرض، ولم أسكت ولن أسكت، لماذا؟ لأنني مازلت أحلم دائماً بأبي وبشعري وبعيناي.

صغيرة(2): ولكن أظافرك طويلة الآن ياعمتي.

الفتاة: **لأنني عرفت أخيراً مامعنى أن تكوني بلا أظافر.**

"توجه الإضاءة نحو الجانب الآخر من المسرح، حيث يبدو مختار الحارة الشمالية ومعه الأخوة الأربعة"

المختار: أهلاً، أهلاً بضيوفنا الكرام.

الأول: لابد أنك سمعت بمشكلتنا بشأن الغريب.

المختار: نعم، نعم.

الثاني: نحن نعلم بأنكم قادرون على التأثير عليه، لأنه عاش عندكم ونحن نريد مساعدتكم في إيجاد حل لمشكلتنا معه.

المختار: عذراً منكم ولكن أختكم هي السبب، فمنذ أن صارت تذهب من هنا إلى هناك لتخبر الآخرين عن قصتها أصبحت مشكلتكم كبيرة وسيرتكم على جميع الألسنة، فهي من جلب لكم العار وليس هو، فهو لم يتحدث بالقصة قط، حتى

أنها ذات مرة رأته عندنا فأخذت تصرخ عليه حتى أيقظت جميع من في الحارة بصوتها المزعج.

الثالث: ولكنه هو من اعتدى عليها.

المختار: هذا أمر قد مضى، ولكننا يجب أن نبحث كيف نوقف صراخها الآن، وحقيقة إن الغريب قد مرض في الآونة الأخيرة بسبب صراخها، ونخشى أن يموت فلا نستطيع فعل شئ عندها لستر فضيحتكم.

الرابع: على كل لقد بحثنا في طريقة خروجنا من مأزقنا، وخرجنا بمبادرة منا إليه وهي أن نعطيه مالاً وذهباً، كما أننا مستعدون أن نسكنه عندنا وفي دارنا، وأن نضع صورته في صدر البيت بجانب صورة أبينا الكبيرة، ولكن بشرط عقد قران على الملأ بينه وبينها، ونرجو أن تقنعه بذلك لمصلحتنا معاً، لأنه قد يحصل خلاف بين حارتنا وحارتكم لأنكم تؤوونه.

المختار: لابأس، إنها فكرة حسنة، وسأحاول جهدي كي تتحقق، ولكن اصبروا، فأنا أعرف الغريب وأعرف كم هو إنسان مسالم وحساس جداً، حتى أنه يستحي من النسوة كثيراً، وكثيراً ماأدار وجهه عندما يرى نسائي حياءً.

"**يظهر الأخوة وهم متجهون باتجاه الدار، حين يركض عليهم شخص وهو يصيح: الحقوا أختكم، لقد جاء الغريب في غيابكم واقتحم بيتكم وهو الآن فيه**"

الأول: ابن الكلب، ألا ينتظر حتى يكلمه مختار الحارة الشمالية.

الثاني: ماذا يسعنا أن نفعل وقد وعدنا مختار الحارة الشمالية بالصبر.

الثالث: -موجهاً حديثه للرابع- اذهب حالاً ونادِ لنا مختار الحارة الشمالية ليخرجه من دارنا.

"**يغادر الرابع المسرح بينما يعلو الصراخ من الداخل، وتوجه الإضاءة باتجاه الدار**"

الغريب: -ينزف دماً- أيتها الساقطة، لقد أصبحت لك أظافر هذه المرة.

الفتاة: سأعلمك هذه المرة كيف تحترم الحرائر أيها العبد الغريب.

الغريب: وهل تعتقدين بأنك ستنتصرين بهذه الأظافر، هانحن وحدنا للمرة الثالثة، وأخوتك في الخارج لايجرؤون على الدخول.

الفتاة: -منشدة-

حَاصِرْ حِصَارَكَ لا مَفَرُّ

حَاصِرْ حِصَارَكَ بالجنونِ

وبالجنونِ

وبالجنونْ

فإمَّا أنْ تكونْ

أوْ لا تكونْ.[1]

الغريب: -يهجم- لا لن تكوني.

"تتجه الإضاءة باتجاه الأخوة ويبدو أهل الحارة مجتمعين أيضاً، ويظهر مختار الحارة الشمالية مع الأخ الرابع"

المختار: ماهذه الجلبة، لقد أخبرني أخوكم بأن الغريب

1 مقطع من قصيدة "**مديح الظل العالي**" لمحمود درويش.

قد عاد ليدخل بيتكم، طبعاً سيدخله مادامت أختكم تلك تصرخ بهذا الشكل الغريب، وتجعل سيرته على كل لسان.

الأول: دعنا الآن في مشكلتنا، فأهل الحارة كما ترى يطالبوننا بحل، وأخشى إن لم نتصرف أن يقتلوا الغريب، ولن نستطيع عندها من تزويجه لأختنا، وأن نحصل على عقد رسمي بالزواج نستر به عرضنا.

"**يتجه المختار باتجاه الباب ويطرقه**"

المختار: اخرج ياحبيبي، أنا أعلم كم آذتك هذه الفتاة، فلقد حدثتني عنها مراراً عندما كنت تأتي إلى بيتي، ولكن ولايهمك سنعاقبها ولكن اخرج الآن.

الغريب: -صائحاً-لاأستطيع فهي تنشب أظافرها في عنقي.

المختار: أرأيتم، أهذا آخر التربية، هذا آخرالدلال، لقد تركتموها على هواها، حتى اعتقدت أنها تستطيع أن تقتل من تشاء.

الأول: المهم الآن الفضيحة وأهل الحارة.

"تتجه الإضاءة نحو الدار ويبدو الغريب ينزف بشدة"

الغريب: لقد أتعبتني أيتها الساقطة.

الفتاة: وهل اعتقدت يوماً بأنني سأجعلك تعلق صورة لك على الجدار بجوار صورة أبي، آه ياأبي لو تعود لترى أبناءك كيف أجروا قرآنهم وصليبهم للغرباء ولمن اعتدى على عرضك، حتى أنهم حاولوا مراراً أن يلغوا هويتي من سجل حارتنا، وأن يقولوا أنهم ليسوا إخوتي وأنك لست بأبي، ولكن أظافري اليوم هي من ستصنع لي هوية وهي من ستقول للجميع كيف أنني ابنتك بحق.

"يزحف الغريب باتجاه باب الدار"

المختار: انظروا ماذا فعلت به وتقولون أنها مظلومة.

"يخرج المختار خنجراً ويعطيه للغريب"

المختار: خذ هذا الخنجر ودافع به عن نفسك، حتى لاتقتلك هذه المجنونة.

"يعود الغريب إلى الداخل ويعلو الصراخ"

"يتجه أهل الحارة باتجاه الدار فيعترضهم الأخوة"

الأول: إلى أين أنتم ذاهبون ؟، قفوا.

أحد الأهالي: إنها ابنة حارتنا، وسنقتل الغريب إن لم يخرج.

الثاني: ولكنها أختنا وليست أختكم فابتعدوا.

الثالث: ثم إن هذه الدار لنا، ومن الآداب العامة ألا تدخلوها قبل أن نأذن لكم.

"**يتدافع أهل الحارة باتجاه الدار يريدون اقتحامه**"

المختار: اهدؤوا، وأنا أعدكم بأني سأخرج الغريب.

الرابع : اسمعوا لصديقنا المختار فهو سيخرجه، ثم أنكم بهذه الرعونة قد تعرضون أختنا للقتل.

" **يتراجع أهل الحارة**"

المختار: افتح ياحبيبي، أنا أعلم بأنها قد آذتك، ولكن إخوتها وعدوني بأن يعاقبوها.

"**تتجه الإضاءة باتجاه الدار وتبدو الفتاة وهي تنزف مثخنة بالجراح ولكنها مازالت تقاوم**"

الغريب: الآن سأقص لك أظافرك، فهذه الخنجر التي أعطاني إياها صديقي المختار قاطعة، أتعلمين ماذا سأفعل بعد ذلك، سأقطعك نعم سأقطعك، ثم أركبك كيفما أشاء.

الفتاة: إن الشاة لايهمها السلخ بعد الذبح.

الغريب: ولكنني سأسلخك وأنت حية.

"**تتجه الإضاءة إلى خارج الدار بينما يعلو صراخ الفتاة**"

أحد الأهالي: هذا الصراخ يمزق أذنينا، فإما أن تدخلوا أو ندخل نحن.

الأول: افعل شيئاً أيها المختار.

المختار: حسناً سأدخل إليه.

"**يدخل المختار الدار، فيجد الفتاة مضرجة بدمائها، والغريب فوقها يحاول أن يطعنها فيمسك المختار بيده**"

المختار: هاقد استطعت أن تغتصبها للمرة الثالثة، والآن دعنا نخرج لأن القوم سيدخلون بعد قليل.

الغريب: ولكنني لم أغتصبها بعد، فما حدث كان مجرد عراك، وقد آذتني

"**يبكي الغريب وهو يقول: أريد أن اغتصبها، أريد أن أغتصبها**"

المختار: -يربت على كتف الغريب- حسناً سأخرج ولكن ليكن الأمر بسرعة.

"**يخرج المختار من الدار**"

المختار: سيخرج بعد قليل، وهما الآن متفاهمان متحابان، آه لو شاهدتموهما، ألم أقل لكم بأنه مابعد الصبر إلا الفرج.

"**تصدر من الدار صرخة مدوية**"

"**يتدافع أهل الحارة باتجاه الدار، ويلقون بالمختار والأخوة الأربعة، فيجدون الغريب واقفاً وخنجره يقطر دماً، والفتاة جثة هامدة**"

شخص(1): لقد تأخرنا.

شخص(2): هم من أخرونا ولولاهم لاقتحمنا.

شخص(3): بل نحن من لم نرد الدخول وتركناها تموت وحيدة، لقد بقينا طوال حياتنا نتفرج على اغتصابها ونحن صامتون، وكأننا لا نسمع صوتها الجريح، وحاولنا أن ننسى ماضينا، حتى جاهليتنا أردنا قتلها حتى لاتذكرنا بابن حارتنا الذي قتل ملكاً لأجل صحن، وعندما أصبح لدينا قرآنا أصبحنا نقسم عليه زوراً ونشهد زوراً.

شخص(4): يتلمس شعر الفتاة وهو يبكي منشداً:

قُومِي مِن أَجْلِ الحُبِّ وَمِنْ أَجْلِ الشُّعَرَاءْ

قومِي مِن أَجْلِ الخُبْزِ وَمِنْ أَجْلِ الفقراءْ

الحُبُّ يُرِيدُكِ يا أَحْلَى المَلِكَاتْ

والرَّبَّ يُرِيدُكِ يا أَحْلَى المَلِكَاتْ

قومِي إِكرَامَاً للغَابَاتِ

وللأنهارِ

وللوديانْ

قومِي إِكرَامَاً للإنسانْ

الآنَ عَرَفْنَا مَا مَعْنَى

أن نَقْتُلَ عُصْفُورَاً في الفَجر

الآنَ عَرَفْنَا مَا مَعْنَى

أن نَدْلقَ فَوقَ سَمَاءِ الصَّيْفِ زُجَاجَةَ حِبْر

الآنَ عَرَفْنَا

أَنَّا كُنَّا ضِدَّ اللهِ وَضِدَّ الشِّعْر[1]

---

1 مقطع من قصيدة " **يا ست الدنيا يا بيروت**" لنزار قباني.

"يهرب الغريب باتجاه مختار الحارة الشمالية الذي يأخذه ويخرجان معاً"

"تسلط الأضواء باتجاه الأخوة الأربعة"

الأول: والآن ماالعمل وقد ماتت أختنا ؟.

الثاني: أقترح أن نقول بأنهما كانا متزوجين بالسر، ولن تنكر أختنا ذلك لأنها ميتة الآن.

الثالث: والله جبتها.

الرابع: ونعلق له صورة على الجدار بجوار صورة والدينا.

النهاية

* * *

المسرحية الثانية

الأحـلام تعـود دائمـاً

الفصل الأول

"**يفتح الستار على سرير، عليه ينام رجل وامرأة**"

"**يأخذ الرجل بالبكاء بكاء شديداً، وتأخذ المرأة تتقلب في سريرها**"

المرأة: -مستيقظة وناظرة إلى الرجل وهو نـائم يبكـي- ياإلهي، لقد أصبحت هذه الحالة لاتطـاق، ففـي كل يوم يوقظني هذا الرجل، حتـى النـوم أصـبح مستحيلاً في هذه البلاد.

"**يضحك الرجل وهو نائم وتعلو قهقهته**"

المرأة: لقد حان الوقت لإيقاظه، فلا بد مـن أنـه سـيجن إن استمر بالضحك هكذا.

"**توقظ المرأة الرجل: استيقظ أيها الرجل، استيقظ**"

الرجل: -مستيقظاً بشكل انفعالي- ياإلهي هل كان ذلك حلماً أيضاً؟.

المرأة: مارأيك، انظر حولك، مازلنا على السرير، ومازلت ترتدي هذه البيجاما المهترئة الكثيرة الثقوب.

الرجل: اللعنة، كم مرة قلت لك ألا توقظيني عندما ترينني أضحك، الآن فقط وعندما أصبح الحلم يتحول إلى نهاية سعيدة أيقظتني.

المرأة: وماذا رأيت هذه المرة ياهيتشكوك؟.

الرجل: في البداية شاهدت امرأة وفوقها جندي سالفاه طويلان، وكان يحمل بيده بندقية مصوبة نحوها، وكان هذا الجندي يوجه كلاماً بذيئاً للمرأة ويبصق عليها، كما كان هنالك خلق كثير ينظرون إلى هذه المرأة والجندي، وكانت المرأة تستغيث بهم، وكلما كانت تستغيث كان هذا الجندي يبصق عليها أكثر ويضربها بالبندقية، وكانت المرأة تبكي وتنظر على من حولها أن يغيثوها، ولكن الجميع غادروها مبتعدين،

وفجأة ظهر غبار كثيف، نعم ظهر غبار لاتستطيعين أن تتصوري كم كان كثيفاً، وظهر رجل واحد، كان قدومه هو من يثير الغبار، كان يرتدي كوفية مبرقعة ملثم بها لاتكاد عيناه تظهر منها، وكان يحمل بيده بندقية، وعندما رأته المرأة ركضت واختبأت خلفه محتمية به، أما الجندي فقد نظر إليه فزعاً، وأخذ يبتعد ويبتعد وهو يطلق الرصاص فلا يصيبه، وعندما سألته المرأة من يكون أجاب "**أنا قدرك**".

المرأة: -مبدية اهتمامها- وماذا حدث بعد ذلك؟.

الرجل: طبعاً الآن تسألينني، لو أنك تركتني نائماً قليلاً لعرفت الإجابة.

المرأة: هيا عد إلى النوم، فما هي إلا أضغاث أحلام، ومازال الليل طويلاً، وأريد أن أنام قليلاً قبل أن توقظني مرة ثانية كعادتك.

"**يعودان للنوم**"

"**يعود الرجل للبكاء كالسابق، وتستيقظ الزوجة**"

المرأة: يالحظي العاثر، كم كنت بلهاء عندما وافقت على الزواج من رجل كهذا، رضيت بالفقر نعم، ولكن عدم النوم أيضاً!!!.

"**يضحك الرجل بوتيرة عالية، وتأخذ الزوجة في إيقاظه**"

الرجل: -مستيقظاً بغضب- إنها المرة الثانية التي توقظيني فيها قبل النهاية.

المرأة: -متأففة- وماذا رأيت هذه المرة؟.

الرجل: هذه المرة كان الأمر مختلفاً، كانت هنالك قاعة اجتماعات كبيرة مليئة بشعارات كثيرة، وكان هنالك رجال يجلسون على كراس وهم يرتدون ثياباً عربية، وقف أحدهم وألقى خطاباً و على الرغم من أن كلماته عربية، إلا أن خطابه لم يكن مفهوماً وكأنه لايتحدث بالعربية، وكذلك وقف رجال آخرون، وفجأة هبت ريح شديدة فتحت الباب، واقتلعتهم واقتلعت كراسيهم، وظهر الشخص نفسه الذي ظهر في حلمي السابق واقفاً بالباب، كان الجميع ينظرون إليه مرتعدين،

حتى أن بعضهم أغشي عليه عندما رآه، وعندما سألوه من أنت؟ وماذا تريد؟، أجاب "**أنا موتكم**".

المرآة: -باهتمام- وماذا حدث بعد ذلك؟.

الرجل: طبعاً أيقظتني.

المرأة: نم، نم، إنها أضغاث أحلام وفي كل يوم أقول لك ألا تشاهد نشرة الأخبار، فقد قرأت مرة أن ما تشاهده قبل نومك مباشرة ينعكس في أحلامك.

الرجل: ولكن ذلك الرجل، على كل لنعد إلى النوم فإنني أخشى ألا أستيقظ غداً وأتأخر عن الوظيفة كالعادة، وأنا لم أعد أحتمل توبيخاً آخراً.

"**يعودان للنوم**"
"**يعود الرجل للبكاء ثالثة بكاء شديداً، فتستيقظ المرأة**"

المرأة: ماهذا الليل وكأننا على الهواء مباشرة مع برنامج يعرض أحدث أفلام الموسم.

"**يضحك الرجل ضحكاً عالياً كالسابق فتوقظه المرأة**"

الرجل: يالله، يالله، لقد كان ذلك مختلفاً.

المرأة: -ممتعضة- وماذا رأيت هذه المرة؟.

الرجل: كم كان مخيفاً ماشاهدته في بداية الأمر، فقد كان هناك دم كثير، شعب، قتلى، قنابل وطائرات، كان هناك أطفال يتراكضون ونسوة يبحثن عن أطفالهن بين الركام، كان هناك ليل ولكنه نهار من كثرة النيران، ثم ظهر الشخص نفسه، كان يقبل القتلى، ويمسح دموع الثكالى، ويعطي الحلوى للأطفال الذين يبكون، وتجمع حوله الناس كان بالنسبة لهم كدرع لبسوه، كانت القنابل لاتؤثر فيه، ولم تكن الريح بقادرة على اقتلاعه-يصمت-.

المرأة: نعم، وماذا بعد؟.

الرجل: لن أقول أنك أيقظتني لأنك أصبحت تعلمين ذلك.

المرأة: الذي لاتعرفه أنت بأنك لم تعد تطاق، فلو أنك تسمع صراخك فقط.

الرجل: أنا أصرخ!!!.

المرأة: نعم أنت ولو أنني لم أضع سدادات لآذان أولادك لكانوا استيقظوا الآن، وفي كل مرة أضع لهم السدادات يسألونني لماذا؟

الرجل: وماذا تقولين لهم، هل تتحدثين لهم عن أحلامي؟.

المرأة: وهل تريد أن يعلموا بأن أباهم قد جن، إنني أقول لهم بأن ما أفعله هو حتى لا تدخل الصراصير إليها.

الرجل: أيتها الخبيثة.

المرأة: أصبح لزاماً عليك أن ترى طبيباً نفسياً، لأن مشكلتك في ازدياد، ففي المرة الأولى رأيت حلماً، وبعدها حلمين والآن ثلاثة، مع الزمن سيصبح عرضاً متواصلاً.

الرجل: أنت تعلمين أنني رأيت أكثر من طبيب، ولكنهم لم يقدموا لي إلا أدوية لم تنفعني، بل لقد زادت الأحلام.

المرأة: وماذا سنفعل إذن؟.

الرجل: لو أنني أراه فقط، فقط لو أراه، فأمي كانت تقول لي دائماً بأن أحلامي إذا تحققت فإنني لا أعود أراها.

المرأة: اصمت،هل تريد أن يتحقق القتل والدمار الذي تراه في بداية أحلامك؟.

الرجل: ياذكية،هذا القتل والدمار موجود ونحن نراه في كل يوم، فمع إشراقة كل شمس نذبح من الوريد إلى الوريد، ولكن هذا الرجل هو من نبحث عنه، فلو أنني ألتقي به فقط.

المرأة: إذاً لانوم إلى أن تلتقي به؟،-رافعة يديها إلى السماء- ياإلهي متى ستأخذني؟.

"**يضمها إلى صدره**"

الرجل: يأخذك، في الأصل نحن أموات، قلوبنا ميتة، وأعيننا كذلك لابريق لها، لاتعتقدي بأن هنالك أناساً يسيرون في الشارع، بل هي أجساد متعفنة تنتظر من يقوم بدفنها.

الرجل: -دافعاً المرأة- صحيح ألا تحلمين؟.

المرأة: أحلم!!!، وهل جعلتني أنام حتى أحلم، آخر حلم رأيته كان قبل زواجنا.

الرجل: وماهو؟ احكيه لي هيا.

المرأة: حلمت أنني كنت نائمة، ثم جاء رجل وسلط على عيني الضوء فاستيقظت، وكلما حاولت النوم كان يسلط على عيني الضوء.

الرجل: وماذا حدث بعد ذلك؟.

المرأة: تزوجتك.

"تعود المرأة للنوم، والرجل ينظر إليها باستغراب، ثم يعود هو للنوم ويسدل الستار"

الفصل الثاني

المشهد الأول

"يضاء المسرح ويظهر الرجل ماشياً، ثم يتوقف ويحدث نفسه"

الرجل: اللعنة، في كل يوم يجب علي أن أغادر متأخراً، وكيف لاأتأخر وأنا عندي زوجة تنام ولاتستيقظ، حقاً أي زمن هذا الذي نعيشه، أي رجال نحن وأي نساء هم، أين الأيام السالفة حيث كانت أمي تستيقظ منذ الصباح الباكر لتضع لنا ولأبي إفطارنا، والأهم من ذلك أن كل هذا يتم وهي تبتسم، أما اليوم فزوجتي عندما تضع الطعام فإنها تقول "**كل**" وكأنها تقول "**تسمم**"، أما في الصباح فالحمد لله أنني أحسن إعداد السندويش لي وللأولاد، لأنها دائماً نائمة، على الرغم من أنها لاتجعلني أنام فهي توقظني طوال الليل.

"يتابع مسيره فيتعثر بشئ على الأرض يبدو كمصباح قديم فيمسكه"

الرجل: ماهذا المصباح القديم القذر، ترى هل بالإمكان بيعه، وإن بعته هل يمكن أن يساوي الشئ الكثير، على كل شئ أفضل من لاشئ ، ولكن يجب تنظيفه أولاً من هذه القذارة حتى يباع على الأقل.

"يخرج الرجل خرقة من جيبه ويمسح المصباح، وفجأة يظهر أمامه مارد"

الرجل: -مذعوراً- من أنت ومن أين جئت؟

المارد: -هامساً- يالغباء هذا الرجل وكأنه لم يعش طفولته أو قرأ يوماً قصة علاء الدين والمصباح السحري.

الرجل: أرجوك ياسيدي أنا لم أفعل شيئاً.

المارد: لاتخف ياسيدي.

الرجل: سيدك!!.

المارد: نعم فأنا مارد المصباح، وأنا أخدم من يقوم بتنظيفه.

الرجل: حقاً، إذا مايقال عن المصباح السحري صحيح.

المارد: نعم ياسيدي، ولك ان تطلب أمنية واحدة.

الرجل: أمنية واحدة فقط، اسمع أيها المارد صحيح أن شكلي يدل على أنني مسكين، ولكنني مثقف، وقد قرأت أن من يملك المصباح تتحقق له ثلاث أمنيات.

المارد: لقد كان ذلك صحيحاً في الماضي، أما في زمننا هذا فإن كل شئ جرى اختصاره حتى الأمنيات، ولك أن تختار أمنية واحدة فقط.

الرجل: ثلاث.

المارد: واحدة.

الرجل: ثلاث.

المارد: -غاضباً وصارخاً- واحدة.

الرجل: مابالك لاتتصرف وكأنني لست سيدك.

المارد: -متأففاً- اسمع يا، يا، ياسيدي، لاتعذبني أكثر ألا يكفي جلوسي في المصباح كل هذه السنين، ليأتيني واحد مثلك، -واضعاً يده على أنفه- حتى أن رائحتك تعبق في المكان ألا تستحمون في هذه البلدة، أين أيام علاء الدين، آه كم كان Very nice.

الرجل: -ممسكاً بقدم المارد- يستر على عرضك ثلاث.

المارد: دع البنطال، دعه، هي واحدة فقط، وخلصني لأنني يجب أن أذهب فلدي موعد، فلازالت حبيبتي تنتظرني منذ ألف سنة وقد أخبرتها بأنني سأراها عند أول فركة.

الرجل: حسناً، حسناً، ولكن مادام الأمر كذلك دعني أفكر.

"يفكر الرجل ملياً"

الرجل: ماذا أطلب، ماذا أطلب، هل أطلب من هذا المارد مالاً كثيراً، أو أن يخلصني من زوجتي التي لاتنفك توقظني -يصمت قليلاً- وجدتها، وجدتها.

"يتجه الرجل صوب المارد"

المارد: -متأففاً- هل فكرت.

الرجل: نعم أريد ذلك الرجل الذي يظهر في أحلامي وهو ملثم بكوفية مبرقعة لاتكاد تظهر منها عيناه، ويحمل بندقية يعانقها كقطعة منه، ويرتدي جزمة و...-يقاطعه المارد-.

المارد: يكفي، يكفي، تقصد فدائي.

الرجل: وكيف عرفت؟

المارد: إن هذه الصفات لاتنطبق إلا عليه وهو لايعرف إلا بهذه الثياب في جميع دول العالم، يالذكاء رجال هذا العصر، الحمد لله أنه لم ير **يوري مرقدة** في منامه، لكان وصفه احتاج لساعات.

"**يقوم المارد بحركات، فيظهر فدائي على المسرح، ويختفي المارد**"

الفدائي: ماهذا؟، أين أنا؟، من أحضرني إلى هنا؟، ومن أنت؟.

الرجل: -متجهاً إلى الفدائي- ياإلهي إنه أنت كما أراك تماماً في أحلامي، نفس البندقية، وهذه الكوفية المبرقعة، حتى هذه الجزمة الأسطورية.

"**يدخل رجل آخر إلى المسرح ويشاهد الفدائي**"

شخص(1): -مذهولاً- ياإلهي هذا أنت، إنك كما أراك في منامي.

"**يدخل رجل ثالث للمسرح وبيده طفل، ويشاهد الفدائي**"

شخص(2): -مذهولاً- هذا لايعقل، اليوم فقط تمنيت أن أراك.

"يدخل عدة رجال إلى المسرح ويشاهدون الفدائي فيذهلون نفس ذهول السابقين"

الفدائي: ولكن من أنتم؟، وأنا ماذا أفعل هنا؟، أين خندقي وأين رفاقي؟، فأنا مكاني هناك حيث أعانق الأرض وتعانقني، لأن الله أرادها دائماً أن تكون معشوقتي الأبدية، وفيها لاأموت لأنها تمتصني لتعيدني من جديد حقلاً من القمح أو سنديانة.

"يدخل رجل يرتدي ثياباً سوداء ونظارة سوداء، ووراءه رجال يرتدون نظارات سوداء أيضاً"

الأسود: ماهذا التجمع؟، ألا تعلمون بأن التجمع في الساحات العامة ممنوع، لأنه يخالف قوانين السير.

"ينظر إلى الفدائي، ويخلع نظارته بذهول"

الأسود: -مذهولاً- أهذا أنت، يامن أراه دائماً في منامي، كم كنت أتمنى أن أراك منذ زمن لأنهي كابوسي المزعج الذي يلاحقني، ففي كل ليلة أبدأ منامي سعيداً، إلى أن تظهر أنت فينقلب كابوساً حقيقياً، وهاأنت اليوم في عالمي، في عالم

الواقع والحقيقة لا في عالم الخيال، ولكن قبل ذلك يجب أن أعلم كيف جئت إلى هنا ومن جاء بك؟، وكيف استطعت التسلل عبر حدودي التي أحرسها من أمثالك الإرهابيين؟.

"**ينظر للجمع ويوجه حديثه للرجل صاحب المصباح**"

الأسود: هل جئت به أنت؟.

الرجل: أنا، لا،لا ياسيدي، حتى أنني لا أعرفه أبداً، ولم أره من قبل، حتى أن رائحته قذرة-موجهاً حديثه للفدائي- ألا تستحم، يبدو أنك لاتشاهد دعايات الصابون على التلفاز، ألم يعجبك أي صابون؟.

الأسود: -موجهاً حديثه للشخص(1)- إذا هو أنت من جاء به؟.

شخص(1): أبداً، أبداً ياسيدي، وهل لأمثالي أن يعرفوا أمثاله.

الطفل: -موجهاً حديثه لأبيه- أبي، أبي، أليس هذا الرجل يشبه ذاك الذي تحدثنا عنه كل مساء، والذي تراه دائماً في نومك؟.

شخص(2): -موجهاً حديثه للجمع- لمن هذا الولد ياشباب.

الأسود: -موجهاً حديثه للفدائي-على كل هذا غير مهم، فأنا سأعرف كيف أجعلك تدلنا على من أدخلك، لابد أنها جهات أجنبية تسعى إلى خلق اضطراب عندنا.

"يشير الأسود لرجاله فيتجهون إلى الفدائي"

الأسود: خذوا بندقيته أولاً.

"يحاول الرجال خلع بندقية الفدائي عن كتفه ولكنهم لايستطيعون"

رجل(1): سيدي، إننا لانستطيع خلع بندقيته وكأنها ملتصقة به

الأسود: حسناً، قيدوه والبندقية، فالبنادق أحياناً تحتاج إلى أن تكون مقيدة.

"يقيده رجال الأسود، ثم يغادرون والأسود المسرح ومعهم الفدائي"

والد الطفل: -ضارباً ولده- تريد أن تتخلص من أبيك أليس كذلك، ألم تجد إلا هذه الطريقة يابن الكلب.

"**ينظر الرجال إلى بعضهم البعض، ثم يغادرون المسرح، بينما يبقى صاحب المصباح**"

الرجل: -رامياً المصباح- اللعنة عليك أيها المصباح اللعين، كأنك جئت إلينا لترينا أنفسنا، لترينا عوراتنا، ولولاك لبقيت نهايات أحلامنا على الأقل سعيدة، والآن لم يبق منها إلا الجزء القذر.

"**يغادر الرجل المسرح**"

المشهد الثاني

"يضاء المسرح على منزل الرجل وتبدو زوجته ترتب المنزل، وفجأة يدخل الرجل مسرعاً"

الزوجة: مابالك ترتجف؟.

الرجل: دثروني، دثروني.

الزوجة: حسناً، اجلس، اجلس.

"يجلس الرجل وهو يرتجف بينما تذهب زوجته فتجلب له غطاء تغطيه به"

الزوجة: ولكن لماذا ترتجف هكذا؟، هل أنت مريض؟.

الرجل: لقد رأيته، لقد رأيته.

الزوجة: -مندهشة ثم فرحة- ماذا أحقاً رأيته؟.

الرجل: نعم رأيته بأم عيني.

الزوجة: هل هذا يعني أنني الآن زوجة نبي؟.

الرجل: -ناظراً إليها- هل كان أبوك يعلم ذكاءك هذا عندما طلب مني مهرك.

الزوجة: إذا ماذا رأيت؟.

الرجل: رأيت ذلك الرجل الذي كان يظهر في أحلامي.

الزوجة: -نازعة عن زوجها الغطاء- ألهذا ترتجف، يجب أن تفرح أنك بعد الآن ستنام، وستجعلنا ننام، لأنك لن تحلم به ثانية.

الرجل: تصوري، لم أكن وحدي من أحلم به، بل المدينة كلها.

الزوجة: وجميعها رأته؟.

الرجل: نعم، ويالیتنا لم نره.

الزوجة: لماذا؟، وماذا حدث؟.

الرجل: لقد تنكرنا له، آه كم تمنينا طويلاً أن نراه، وحين ظهر لنا وأدناه كما كنا نئد بناتنا في السابق، مازال وجهه الصامت يطاردني، بل يطارد المدينة كلها، ذلك أن الله أرسله لنا قرآناً بدون نبي، ولكنا كفرنا به، ذلك أننا شعب علمونا ألا نقرأ القرآن، علمونا أن نكفر بالرسالات، أن نطلق النار على من نحب، ومن ثم نتهم أيدينا أنها هي من أطلق النار ولسنا نحن.

-منشداً-

سقَطَ القِنَاعُ عن القناعِ عن القناعِ

سقَطَ القناعُ

لا إِخْوَةٌ لكَ يا أخِي، لا أصدقاءُ

ياصَديقِي، لا قِلاعُ

لاالمَاءُ عِنْدَكَ، لا الـدَّوَاءُ ولا السَّـمَاءُ ولا الـدِّمَاءُ

ولا الشِّرَاعُ

ولا الأمَامُ ولا الوَراءُ

سقَطَ القِنَاعُ

عَرَبٌ أطَاعُوا رُوْمَهُم

عَرَبٌ وبَاعُوا رُوْحَهُم

عَرَبٌ وضَاعُوا [1]

1 مقطع من قصيدة "**مديح الظل العالي**" لمحمود درويش.

الفصل الثالث

المشهد الأول

"يفتح الستار على جمع داخل المسرح، رجال وبينهم أطفال"

الأول: ألا تعلم ماذا يريدون أن يفعلوا؟.

الثاني: والله لا أعلم ، فكل شئ أعلنوه البارحة في نشرة الأخبار، أن شيئاً مهماً يريدون أن يرونا إياه، لأنه يهم أمن الوطن والمواطن.

الأول: حقاً، إن الوطن لسعيد بهم وكذلك المواطن.

"يظهر الرجل الأسود وخلفه رجال يسوقون الفدائي، ومعهم مفتي المدينة، والفدائي مكبل وعلى كتفه البندقية، يصعد الأسود على المنصة وكذلك يتم إصعاد الفدائي"

الأسود: أهلاً بكم ياأبناء الوطن، يامن اعتدنا دائماً أن نتحدث معكم فيما يهم الوطن، وأن نريكم دائماً إنجازاتنا للوطن، حتى لا تقولوا بأننا نخفي شيئاً عنكم، لأننا دائماً أناس نحب الضوء ونكره الظلمة.

أحد الأشخاص: عاش الوطن بكم، وفقط بكم.

"يصيح الجمع: عاش، عاش، عاش"

الأسود: طبعاً أنتم تريدون أن تعرفوا من هذا المقيد أمامي. إنه كما ترون من شكله، من ثيابه، حتى انظروا لهذه البندقية، لقد حاولنا جاهدين أن ننزعها منه ولكننا لم نستطع، وهو يصر على إبقائها معه دائماً، لماذا؟ لأنه يصر على قتل الوطن.

أحد الأطفال: ولكننا لم نره يصوب البندقية باتجاهنا أبداً.

والد الطفل: اخرس أيها الولد العاق، -ناظراً إلى الأسود- اعذره ياسيدي فهو صغير على معرفة الحقيقة.

الأسود: الحقيقة والطفل، أتدرون أن أحد انجازاتنا القادمة والذي تمت الموافقة عليه، هو إنشاء مدارس داخلية للأطفال، لنجعلهم يقولون الحقيقة كالكبار تماماً.

أحد الأشخاص: عذراً ياسيدي، هل دل قاتل الوطن هذا على شركائه؟، والله أصبحت حقاً أخشى أن أسير في الليل فيصادفني أحدهم.

الأسود: في الحقيقة، هذا هو الشخص الوحيد الذي حاولنا الحصول منه على معلومات بشتى الطرق، ولكنه ظل صامتاً.

أحد الأشخاص: خازوق ياسيدي، خازوق.

الأسود: لقد جربنا الخازوق، بل لقد استخدمنا طرقاً لم تجربوها بعد، أقصد أنها غير عادية، ولكنه ظل صامتاً يرمقني بهذه النظرة الرهيبة التي ترونها الآن على وجهه، وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على مستوى التدريب العالي الذي تلقاه من قبل الذين أرسلوه إلينا.

أحد الأشخاص: لو أنكم تتركونه لنا فنفرمه فرماً.

الأسود: لا، لاأريد أن أسمع هذا الكلام، ذلك أننا دولة قانون قبل كل شئ، ونحن بدورنا وجهنا له تهماً عديدة ولكنه ظل صامتاً، لذلك لم نجد بداً من الحكم بإعدامه جزاء ماقترفت يداه.

أحد الأشخاص: عاش القانون وعشتم معه ياحماة القانون.

"**يصيح الجمع: عاش، عاش، عاش**"

الأسود: وبما أننا لانعدم إلا على الطريقة الإسلامية، فقد أحضرنا المفتي.

المفتي: -موجهاً حديثه للفدائي- هل ترغب بقول شئ؟.

"يبقى الفدائي صامتاً"

المفتي: يالوقاحته حتى أنه لايريد الاعتذار، سيموت وفي رقبته اعتذار، وحين يأتي الله ويسأله هل سددت ديونك؟، فماذا سيقول؟، سيخرس طبعاً، -موجهاً كلامه للأسود- تستطيعون ياسيدي أن تعدموه.

"يتجه الأسود إلى الفدائي ساحباً مسدسه، ويصوبه باتجاه رأس الفدائي ويطلق النار، فيسقط الفدائي جثة هامدة وبيده بندقيته، ويشهق الجمع:الله أكبر"

الأسود: الآن تأكدت بنفسي أنه لن يزعجنا بعد الآن، هكذا سيعود الناس ليحلموا كما نريد تماماً،-موجهاً حديثه لرجاله- لاتنسوا أن تأخذوا بندقيته.

"يحاول رجال الأسود نزع البندقية ولكنهم لايستطيعون"

أحد الرجال: لانستطيع نزعها ياسيدي.

الأسود: عجيب أمر هذا اللاصق الذي يضعه، على كل دعوه فلا فائدة من بندقية بدون فدائي.

"يغادر الأسود ورجاله والمفتي الساحة ويبقى الجمع وهم يحيطون بجثة الفدائي، يحاول أحد الرجال نزع البندقية فلا يستطيع"

شخص(1): ياإلهي حتى وهو ميت لسنا قادرين على نزع بندقيته.

"يقترب الطفل من البندقية وينزعها من الفدائي ويرفعها"

شخص(2): انظروا لقد استطاع هذا الطفل أن ينزع البندقية.

شخص(3): ليس هو من نزعها بل إن الفدائي هو من أعطاه إياها، لأن هذا الطفل هو الوحيد بيننا من قال الحقيقة، هذه الحقيقة التي تشبه في بلادنا موسماً جميلة ننظر إليها عن بعد، ولكننا نخشى أن يرانا الآخرون نقترب منها، إنها جرحنا الذي ينزف منا كل نهار دون أن نعالجه، وسيبقى ينزف حتى يقتلنا.

الطفل: -موجهاً كلامه إلى أبيه- ألن تدفنوا عمو الفدائي يا أبي؟.

والد الطفل: عمو الفدائي، بل قل أخي الفدائي، لأنكما كلاكما من الحقيقة جئتم، فالله خلقنا من تراب وخلق الفدائي من الحقيقة، وأنتم الأطفال لاتكذبون ونحن زائفون.

"يتجه والد الطفل إلى الفدائي، وينادي الجمع أن يساعدوه على حمله، ليقوموا بدفنه في مكان آخر"

شخص(1): ماهذا؟ إننا لانقوى على حمله.

شخص(2): وكأنه ملتصق بالأرض يارجل.

شخص(3): دعوه، الآن عرفنا لماذا جعل الله ألا يدفن الشهيد إلا في مكان موته.

شخص(4): هل ندفنه هنا؟.

شخص(5): لا، دعوه، لأنه كما قال، بأن الأرض ستمتصه، وغداً عندما نأتي هنا سنجد مكانه وردة أو نبع ماء وعصفوراً يغنينا القيامة.

المشهد الثاني

"يفتح الستار على سرير ينام عليه الأسود وزوجته، يضحك الأسود وهو نائم ضحكة عالية، ثم يبكي بشدة، فتستيقظ الزوجة"

"توجه الإضاءة إلى جهة أخرى من المسرح، حيث يبدو سرير ينام عليه الرجل الذي ظهر في بداية المسرحية وزوجته، يبكي الرجل في بداية الأمر بشدة، ثم يضحك،فتستيقظ الزوجة"

"تعود الإضاءة إلى الأسود وزوجته"

زوجة الأسود: استيقظ يارجل استيقظ.

"تعود الإضاءة إلى الرجل وزوجته"

زوجة الرجل: استيقظ يارجل استيقظ.

"تعود الإضاءة إلى الأسود وزوجته"

الأسود: -يستيقظ مذعوراً- لقد عاد، لقد عاد، لقد رأيته.

"تعود الإضاءة إلى الرجل وزوجته"

الرجل: -يستيقظ فرحاً- لقد عاد، لقد عاد، لقد رأيته.

"تعود الإضاءة إلى الأسود و زوجته"

الأسود: والله لقد قتلته بيدي، لأتأكد بنفسي أنني تخلصت منه إلى الأبد.

"تعود الإضاءة إلى الرجل وزوجته"

الرجل: والله لقد رأيت مقتله، وشاهدته جثة هامدة، وتأكدت أنه لن يعود.

"تعود الإضاءة إلى الأسود وزوجته"

زوجة الأسود: وماذا رأيت؟.

"تعود الإضاءة إلى الرجل وزوجته"

زوجة الرجل: وماذا رأيت؟.

"تعود الإضاءة إلى الأسود وزوجته"

الأسود: في البداية كان هنالك قتلى ودم كثير، وكنت أضحك وأضحك، فأنت تعلمين كم تسحرني رائحة الجيف.

"تعود الإضاءة إلى الرجل وزوجته"

الرجل: في البداية كان هنالك قتلى ودم كثير، ورائحة الموت تعبق بالمكان.

"تعود الإضاءة إلى الأسود وزوجته"

الأسود: وفجأة ظهر الشخص نفسه، بكوفيته المبرقعة، وجزمته، وحتى البندقية كانت نفسها، ياليتني قطعت يده وأخذتها منه، ولم أتركها.

"تعود الإضاءة إلى الرجل وزوجته"

الرجل: وفجأة ظهر نفس الشخص، بكوفيته المبرقعة، وجزمته الأسطورية، حتى البندقية كانت نفسها.

"تعود الإضاءة إلى الأسود وزوجته"

الأسود: كان متجهاً نحوي مباشرة، وكنت أطلق النار عليه، ولكنه لايموت، ألقيت عليه القنابل، ولكنه لايموت.

"تعود الإضاءة إلى الرجل وزوجته"

الرجل: كان متجهاً مباشرة إلى حيث النار، وكان اللهيب يتجه نحوه ولكنه لايموت، لايموت.

"تعود الإضاءة إلى الأسود وزوجته"

الأسود: كان يمر على القتلى، يقبلهم فينهضون.

"تعود الإضاءة إلى الرجل وزوجته"

الرجل: هذه المرة كان ينادينا، يدعونا أن نتبعه رسولاً جديداً، وكان كالمسيح يمر على القتلى يقبلهم فينهضون.

"تعود الإضاءة إلى الأسود وزوجته"

الأسود: وأخذت أركض وأركض، ولكنني كلما ركضت وجدته أمامي، حتى القتلى استيقظوا وأخذوا يحاصرونني.

"تعود الإضاءة إلى الأسود وزوجته"

الرجل: كان يصيح بنا أن الله أذن بالقيامة، نحن القتلى، نعم نحن القتلى.

-منشداً-

النَّدَى وَالنَّارُ عَيْنَاهْ
إذا ازْدَدتَ اقترَاباً مِنْهُ غَنَّى
وتَبَخَّرَتْ على سَاعِدِهِ لحظةُ صَمْتٍ وَصَلاهْ
آهِ سَمِّيْهِ كَمَا شِئْتِ شَهيداً
إنَّه أجمَلُ مِنَّا
غادَرَ الكُوخَ فَتَى
ثمَ أتَى، لَمَّا أتَى
وَجْهُ إله [1]

"يتجه الرجل إلى صندوق قديم، وينفض الغبار عنه، ويخرج منه بندقية قديمة"

1 مقطع من قصيدة "**يوميات جرح فلسطيني**" لمحمود درويش.

الرجل: هـذه البندقيـة كانـت لأبـي، والله يـدعونا الآن أن نسـتخدمها قبـل أن تَصْـدَأ، إنهـا رسـالته الجديدة.

-منشداً-

قومِي اشْهَديني، صَاعِداً كالرِّيح مِن كَهفِي الذليلِ
قومِي اشْهَدِي عَيْنَيَّ، مِصْبَاحَيْن في اللَّيْلِ الطويلِ
قدمِي على الأفعى، وثغرِي بَينَ أزهارِ الحقـولِ
آتٍ لأحْصُـدَ حِنْطتِي ، وأعيـدَ تَرتيبَ الفصولِ[1]

"تعود الإضاءة إلى الأسود وزوجته"

الأسود: -وكأنه جن- لا،لا، لاتقتربوا، ابتعدوا عني، أنـا سيدكم.

زوجة الأسود: -مفزوعة- استيقظ يارجل، نحـن هنـا فـي بيتنـا ولا يوجد أحد معنا.

"يتلوى الرجل وكأن رصاصاً حقيقياً قد أصـابه، ثـم يسـقط علـى الأرض، فتهرع زوجته إليه"

1 مقطع من قصيدة "**أصوات من مدن بعيدة**" لسميح القاسم.

زوجة الأسود: ياإلهي، لقد مات، -ناظرة إلى يديها- ماهذا؟، من أين أتى هذا الدم؟، -ناظرة حولها- ياإلهي وكأن حلمه قد تحقق، -تنظر حولها ثانية وهي مفزوعة- نسيت أن أسأله، هل كنت معه في الحلم!!.

النهاية

* * *

المسرحية الثالثة

سَـــكْـرَة

الفصل الأول

"يضاء المسرح على رجلين، في يد كل منهما زجاجة، وهما يتمايلان ويترنحان من السكر"

الأول: **-مترنحاً-**

بلادي بلادي بلادي

لك حبي

وفؤادي[1]

أتعلم ياصديقي وكأن هذه الأغنية وجدت للسكارى، ليغنوها في آخر الليل.

---

1 من "**نشيد بلادي**" تأليف محمد يونس القاضي وتلحين سيد درويش والذي أصبح نشيد الجمهورية العربية المصرية.

الثاني: ولكن والله إن هذا لشيء ممل، كل يوم نفس الأغنية، حتى أننا نمر بنفس الحارة، ونفس الشارع.

الأول: أتعرف أن ذلك أفضل من أن نغترب، فالشرطة في هذا الشارع قد عرفتنا، وكذلك لقد عرفوا طريق منزلنا.

الثاني: وهل تغيير الشارع يسمى غربة أيضاً؟

الأول: -مترنحاً- في بلاد كبلادنا تغيير الشارع يسمى اغتراباً، لأن لكل شارع ملاكه وكأنه ليس قطعة من وطن، حتى الناس في بعض الشوارع عبيد.

الثاني: صحيح، صحيح، ولكننا نمر في كل يوم بنفس الطريق، حتى الشجر والأشخاص أصبحوا كالروتين اليومي في الوظيفة.

الأول: هذا أسهل من أن نغير، فلو أن مخفراً آخر أخذنا في منتصف الليل، لجعلنا نصحو من سكرتنا باكراً وأنت تعلم كيف، وفي النهاية علينا أن نكتب له عنواننا، صحيح هل تتذكر أين تسكن؟

الثاني: -مفكراً ملياً- لا والله !!

الأول: هل رأيت فائدة أن تضع عنوانك في مكان ثابت.

الثاني: على كل لم يحن موعد قدومهم بعد.

الأول: إذاً مازال لدينا وقت لننسى نهار اليوم.

الثاني: -متأوهاً- عندي سؤال يحرق قلبي ولم أجد له إجابة.

الأول: -مترنحاً- قل، قل، أنسيت أننا أصدقاء ليل طويل.

الثاني: لماذا الخمر محرم؟

الأول: لأنك قد تكفر بالله إذا شربت.

الثاني: لو كان الأمر كذلك لحرموا الوظيفة، لأنني في النهار وأنا في الوظيفة أكفر مليون مرة ، وخاصة مع مدير كمديري.

الأول: والله كلامك صحيح، ثم أنني عندما أشرب تراني مبتسماً، وأحب الله كثيراً، لأنك إن لم تشرب في هذا البلد، فإنك لابد أن تكفر بالله صباحاً ومساء، أي على فترتين، أما عندما نشرب فإن الكفر به يصبح على فترة واحدة.

الثاني: والله، أنا لو أردت رأيي شخصياً لجعلت الشرب حتى في الصباح.

الأول: لماذا؟

الثاني: لأنني عندها سأستقبل المراجعين وأنا مبتسم، وكذلك فإن مديري سيبتسم، والآذن سيبتسم أيضاً، والأهم هو أن يبتسم الآذن.

الأول: لماذا الآذن خاصة؟

الثاني: ألا تعلم بأن الآذن دائماً معهم؟

الأول: مع من؟

الثاني: معهم، الآن لم تعد تعلم من هم!!!

الأول: -مترنحاً- ليس معقولاً، لا، لا، لا أصدق هل يعقل أن يكون مديرنا آذنا؟.

الثاني: نعم هذا معقول جداً، إنه آذن ولكن بعقد مدير للتمويه ياحمار.

الأول: -غاضباً- لاتقل حمار، صحيح أنني سكران ولكن عندي كرامة.

الثاني: هل ترى فائدة الشرب، حتى أثناء الشرب يصبح عندنا كرامة، البارحة صباحاً قال لي أحدهم: "**يا حمار**".

الأول: وماذا فعلت؟

الثاني: لم أجب طبعاً، وهل أنا حمار حتى أجيب.

الأول: وماذا فعل هو؟

الثاني: أتى لعندي وأمسكني مؤكداً لي أنني حمار.

الأول: وكيف أكد لك؟

الثاني: فقط أمسكني، ثم قال لي: "**أنت ياحمار**"، فأصبحت متأكداً أنه يعنيني.

الأول: وماذا فعلت عندها؟

الثاني: أكدت له بأنني إنسان مؤدب، ولم أرد عليه شتيمته، وتمثلت قول الشاعر:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص

فهي الشهادة لي بأني كامل[1]

وهكذا جعلت الناس يقولون عنه حماراً، ولو أنني رددت عليه لقالوا عني حماراً أيضاً.

الأول: وماذا يقولون الناس عنك الآن؟

الثاني: أصبح لقبي في الدائرة "**صبور**".

---

1 بيت شهير لأبي الطيب المتنبي.

الأول: -ضاحكاً- اشرب، اشرب، إذا ياصبور.

الثاني: سأشرب، ولكن حتى الآن لم أعلم لماذا الخمر محرم؟

الأول: والله لقد سمعت مرة الشيخ السوطي يقول أنه يذهب بالعقل.

الثاني: السوطي، هذا يحتاج إلى زجاجة أخرى بمفرده، هل سمعت آخر شئ يريده؟

الأول: وماذا يريد أيضاً ؟

الثاني: يريد أمناً دينياً.

الأول: وكيف ذلك.

الثاني: نعم هو يطالب بإنشاء فرع أمن ديني، أي بمعنى أن أي واحد يتكلم في الدين بشكل خاطئ يوقف، فقط إن تكلم ولكن إن فعل شيئاً مخالفاً له فذلك مسموح.

الأول: وهل فكر في رئيس الفرع؟

الثاني: والله حسب ما أشار السوطي فإنهم سيكونون.

الأول: -مندهشاً- يكونون!!!

الثاني: نعم يترأس الفرع علماء صالحون.

الأول: صحيح هنالك سؤال يؤرقني، ولاأجد له جواباً.

الثاني: قله بسرعة قبل أن تفرغ الزجاجة، ففي هذا البلد السكارى فقط هم وحدهم القادرون على الإجابة.

الأول: كيف نعرف إذا كان صالحاً ؟

الثاني: ذلك يعتمد على الزمن الذي نعيشه.

الأول: أنا أتحدث عن أيامنا هذه، كيف نعلم إن كان العالم صالحاً.

الثاني: والله حسب رأي السوطي، العالم الصالح كل رجل لديه أتباع يسكرون.

الأول: -مندهشاً- وكيف ذلك؟

الثاني: بما أن الخمر حسب تعريفه يذهب بالعقل، فقد فكرت ووصلت إلى قناعة بأن أتباعه لابد وأنهم جميعاً يشربون.

الأول: هذا الرأي فيه وجهة نظر، ولكن لاتنكر بأنك تكره الرجل لذلك تقول عنه ذلك.

الثاني: -مترنحاً- أبداً، أبداً، بل هو من يكرهني.

الأول: وكيف ذلك؟

الثاني: يقول أنني أنا سبب البلاء، بأثوابي الممزقة تلك أنا سبب البلاء، بلساني المتجمد في حلقي أنا سبب البلاء، والأجمل من ذلك أنه يطالبنا بالعودة إلى الله، -صائحاً- إذا لماذا نشرب؟.

الأول: والله معك حق.

الثاني: والأجمل من ذلك أنه يريد من الأغنياء، أن يعطونا صدقة، وماذا يعطونا، وكأن في بلاد كبلادنا يوجد أغنياء.

الأول: إذا ماذا يوجد؟

الثاني: يوجد لصوص، فليكفوا عن السرقة يوماً واحداً فقط، نحن لانريد أموالهم، نحن نريد حقوقنا، أنا صحيح سكران ولكنني لست بشحاد، والله لو استطاعوا أخذ هذه الكأس التي بيدي لأخذوها، لذلك كلما سرت ومعي هذه الكأس بصقت فيها.

الأول: لماذا؟.

الثاني: حتى يقرفوا على الأقل، فلا يأخذوها.

"يبصق الأول في كأسه"

الأول: شش،شش، يبدو أن الزجاجة أخذت تنفذ منك وبدأت تتفوه بكلام تعرف نهايته تماما، وكل ليلة أنبهك أننا هنا لنسكر لا لنُركَب.

الثاني: صحيح،صحيح، والله أخر ركبة جعلتني أنام على بطني أسبوعاً، ولكن مايؤرقني أن مديري اعتبرها لي إجازة بدون راتب، كم أحب أن يُركَب ويجرب.

"يدخل ثلاثة رجال إلى المسرح وهم يرتدون زي شرطة"

الأول: هاقد جاء المساعد أبو الخيزران.

الثاني: -ينظر إلى ساعته ويترنح- إنه لايتأخر ولادقيقة واحدة، حتى ولاثانية، ففي كل ليلة يأتي بنفس الوقت.

الأول: ألم تقل لي بأن ساعتك متوقفة منذ شهر؟

الثاني: صحيح، صحيح، ولكن هذا الرجل دقيق جداً.

أبو الخيزران: أيها الحماران، ألم أحذركما للمرة الألف، ألا تعودا لعادة الشرب هذه.

الثاني: رد عليه لقد قال لك حمار.

الأول: وقالها لك أيضاً.

الثاني: ولكنك قلت لي بأن عندك كرامة.

أبو الخيزران: بماذا تثرثران أيها الحماران؟.

الأول: لقد أضعنا شيئاً الآن، الآن منذ دخلت فقط أضعناه، ونحن نبحث عنه.

الثاني: سبحان الله فقط عندما تدخل نحن نضيع الأشياء، سيكون كرم أخلاق منك أن تبحث معنا عنه.

أبو الخيزران: وماذا أضعتما هذه المرة، البارحة كان الشرف وقد وجدناه معاً في المخفر، وقبل البارحة كانت الشجاعة وقد وجدناها أيضاً في المخفر.

الأول: اليوم أضعنا الكرامة.

أبو الخيزران: -ضاحكاً- حتى الآن لم تضيعوها، على كل سنجدها في المخفر ياحمار.

الأول: -مترنحاً- لاتقل حمار، قل صبور.

أبو الخيزران: حسناً، خذوا هذا الصبور، ولاتنسوا الصبور الآخر.

"**يغادر الجميع المسرح**"

الفصل الثاني

"يضاء المسرح ويظهر أبو الخيزران جالساً، وخلفه لوحة كتب عليها "الشرطة في خدمة الشعب"، ويسمع صوت ضحك بشكل عال من خارج المسرح، وصوت أحدهم:كفى أرجوك لم أعد أحتمل سأموت من الضحك"

أبو الخيزران: ياحضرة الرقيب، ياحضرة الرقيب، ماهذا الضحك؟

الرقيب: إنهما السكرانان ياسيدي، وهما لاينفكان يضحكان كلما زدنا في تعذيبهما.

أبو الخيزران: أحضرهما إلي حالاً.

"يحضر الرقيب الرجلين"

الأول: -ضاحكاً ومترنحاً- كل مرة تعاقبنا بنفس الطريقة، ولدي سؤال واحد هو لماذا؟.

أبو الخيزران: -ناظراً إليهما- أمن ديني إذاً، لاتريدون صدقة.

الثاني: -موجهاً كلامه للأول - لماذا لم تخبرني بأنك تعمل آذناً؟.

الأول: ولكنني لست بآذن.

الثاني: ولكن لم يكن أحد في الشارع غير أنا وأنت.

أبو الخيزران: وهل تعتقدان أنكما تستطيعان أن تقولا شيئاً دون أن نعلم به؟، نحن نشم حتى الهواء الذي تتنفسانه.

الأول: -هامساً- الآن عرفت لماذا يضيق نفسي أحياناً.

الثاني: حتى في الهواء يشاركونا.

الأول: -موجهاً حديثه لأبي الخيزران- ولكن يبقى هذا كلام سكارى ياأبا الخيزران، وفي كل الدول المتحضرة كدولتنا، لايحاسب السكارى.

الثاني: حقاً إن للسكر فائدة كبيرة.

أبو الخيزران: صحيح، صحيح، ولكن أولاً يجب أن نتأكد أنكما سكرانان ولاتمثلان لتقولا ماتشاءان.

الأول: حسناً، ولكن اجلب لنا طريقة تعذيب جديدة وحديثة، كل يوم كهرباء، كل يوم كهرباء، آه كم أحن إلى أيام من كان قبلك هنا في نفس المخفر حيث لا كهرباء.

الثاني: ومماالطريقة التي كانوا يستخدمها؟.

الأول: النفخ.

الثاني: من الفم طبعاً.

الأول: الأمر سيان.

الثاني: وكيف ذلك؟

الأول: -مترنحاً- ياذكي، مهما فعلت فيجب أن تسد الطرف الآخر.

أبو الخيزران: والله عجيب، أنتما أول أناس لاتنفع معكما الكهرباء، يبدو أن لديكما شبكة تأريض.

الثاني: لا، لا، ولكن سحر هذه الزجاجة عجيب.

الأول: بشرفك يا أبا الخيزران، ألم تشرب ولامرة ؟، لم نرك ولامرة وأنت سكران.

أبو الخيزران: أنا مناوبتي بالليل.

الثاني: هذا يعني أنك تشرب بالنهار.

أبو الخيزران: -مترددا- أنا لاأشرب لافي الليل ولا في النهار.

الأول: لماذا؟.

أبو الخيزران: لأنه يذهب بالعقل.

الثاني: -مترنحاً- قل أنك تخاف أن تتكلم كالسكارى.

الأول: ولكن ياأبا الخيزران كلام الليل يمحوه النهار.

أبو الخيزران: تريدون أن تورطوني في الشرب.

الثاني: كم أنت جبان.

أبو الخيزران: -غاضباً- سأريكم هاتوا الزجاجة.

"**يأخذ أبو الخيزران الزجاجة ويضعها على فمه وهو يشرب دون أن يرفعها**"

الأول: -مترنحاً- ماهذا ؟ وتقول أنك لاتشرب.

الثاني: إنه يشرب من قلب محروق.

الأول: الحقه، فبعد قليل لن يبقي لنا شيئاً.

أبو الخيزران: -ضاحكاً ومترنحاً- حقاً الشرب في الليل غير النهار.

الأول: هاقد سكر أبو الخيزران، من سيوصلنا إلى البيت الآن، وغداً سنتأخرعن الوظيفة.

الثاني: والله مديري سيرفعني إجازة بدون راتب، وفي الأصل لم يبق لي إلا هذا اليوم من الراتب.

أبو الخيزران: لايهمك.

الثاني: طبعاً لن يهمك، فأنت تسكر في مكان عملك.

الأول: -متوجهاً باتجاه اللوحة على الحائط- ماهذا أبا الخيزران؟

أبو الخيزران: الشعب في خدمة الشرطة.

الأول: ولكنني أراها الشرطة في خدمة الشعب.

أبو الخيزران: مستحيل، مستحيل، لقد علموني دائماً بأن الشرطة تأتي خلف الشعب.

الثاني: -مفكراً- صحيح مامعنى الشعب، حتى الآن لم يستطع أحد أن يجعلني أفهم هذه الكلمة، مع أنها دارجة هذه الأيام.

الأول: كم أنت متخلف، أو بالأحرى كم أنت حمار.

الثاني: حقاً عرفه لي إذا أيها الصبور.

الأول: في كل احتفال ألا تجد أناس يرقصون ويصفقون.

الثاني: بلى والله.

الأول: هؤلاء هم الشعب.

أبو الخيزران: فعلاً هذا شخص يفهم، فنحن نسحب أي واحد لايصفق لأننا نعتبر أنه ليس من الشعب.

الثاني: -حاكاً رأسه- يعني هل نحن من الشعب.

الأول: طبعاً، ألم تصفق وترقص كالمجنون في كل احتفال.

الثاني: إذا لماذا نحن هنا؟

أبو الخيزران: -مترنحاً- لأنكم قلتم كلاماً لايقوله الشعب.

"**يدخل في هذه اللحظة رجل يرتدي زي ضابط**"

الضابط: أبا الخيزران ماذا تفعل؟، ولماذا هذان الرجلان خارج القفص؟

أبو الخيزران: من سيدي؟.

الضابط: ومازلت متذكراً أنني سيدك، هل أنت سكران؟.

أبو الخيزران: -مترنحاً- أبداً، أبداً، أنا مازلت من الشعب ياسيدي، وهذان الوغدان هما السبب.

الأول: لا أسمح لك بهذه الإهانة، فأنا من الشعب أيضاً، ومرة سمعت وأنا أصفق بأن للشعب حقوقاً.

الثاني: حقاً وأنا سمعت ذلك أيضاً.

الضابط: حقوق، والله عال، هذا سكر غريب، هل تأكدت يا أبا الخيزران أنهما سكرانان، أم أنهما يمثلان؟.

أبو الخيزران: والله تأكدنا.

الضابط: وماذا كانا يشربان؟.

أبو الخيزران: من هذه الزجاجة وأنا شربت منها ياسيدي والحال كما ترى –مترنحاً–.

"يأخذ الضابط الزجاجة يشمها ويشرب منها حتى تنتهي، ثم يأخذ الزجاجة الثانية، ويشربها أمام دهشة الثلاثة، وهم ينظرون إليه"

الضابط: إلي بزجاجة ثالثة، فهاأنا شربت زجاجتين ولم أسكر، هل تعتقدون أنني أجلس على الكرسي هكذا لأنني مثلكم.

الأول: –موجهاً حديثه للثاني– لقد أكد السوطي بأن الخمر يذهب العقل، وأنا أعرف ذلك أيضاً.

الثاني: تريد أن تقول بأن هذا الضابط لايملك عقلاً، هذا هراء فأبي قال لي يوماً، أن لكل بني آدم عقل، ولكن الأمر يختلف هل هو فوق أم تحت.

الأول: يبدو أن هنالك في البلد كثيرين مثله.

الضابط: بماذا تثرثران؟

الأول: لاشئ، لاشئ.

الضابط: قولا وإلا.

الثاني: الآن ياسيدي فقط عرفنا الإجابة على سؤال ابتدأنا فيه سكرتنا، والآن فقط عرفنا إجابته.

الضابط: وماهو هذا السؤال؟

الأول: لماذا الخمر محرم؟

الضابط: وماالإجابة؟

الثاني: لأنه أسرع طريقة لتمييز البني آدم هل عقله فوق أم تحت.

الفصل الثالث

"يظهر الرجلان على المسرح وهما يسيران"

الأول: هل كان يجب أن تجعل أبا الخيزران يسكر، هانحن نعود سائرين إلى منزلنا.

الثاني: والأسوأ من ذلك أننا بدون زجاجة.

"يصدر صوت زمامير سيارات من خارج المسرح"

الأول: صفق، صفق، حتى لا يعتقدوا أننا لسنا من الشعب.

"يصفقان"

الثاني: -مترنحاً- ولكن نحن في منتصف الليل، أي احتفال هذا؟.

الأول: لقد أخطأنا فقد كان عرساً.

الثاني: هل يجب أن نصفق دائماً لنثبت أننا من الشعب؟

الأول: وماذا سنخسر؟.

الثاني: أخشى ألا ننتبه مرة وننسى أن نصفق.

الأول: مرة تنبهني ومرة أنبهك.

الثاني: لماذا لانكتب على ظهرنا كلمة شعب؟

الأول: لقد حاول أحدهم مرة أن يفعل ماتقول.

الثاني: وماذا حدث له؟

الأول: لقد دهسه بالسيارة أحد الذين يدهسون الشعوب، وفي وضح النهار.

الثاني: ألم يوقفه الشرطي؟

الأول: نعم لقد فعل، ولكن تبين له أنه سكران فتركه.

الثاني: وهل تأكد الشرطي أنه سكران مثلما يحدث لنا؟

الأول: طبعاً فنحن سواسية كأسنان المشط.

الثاني : وهل وضع على الكهرباء؟

الأول: لم يكن الأمر يحتاج لذلك، فقد أخذ الشرطي عينة من البصاق الذي أصابه من داهس الشعوب هذا، وحللها في المخبر.

الثاني: ولماذا يأخذوننا نحن فقط عندما نشرب؟، لماذا لايأخذون بصاقنا؟.

الأول: لأنه لاسيارة لك، فالشرطة تفضل أن يكون البصاق من خلف زجاج السيارة، فهكذا التحليل مضمون.

الثاني: والله، بدأت أفكر أن أكتب خلسة على ظهر مديري كلمة "**شعب**".

"فجأة يظهر أناس يتراكضون في المسرح من جهة ويخرجون من الجهة الأخرى، وهم يحملون شعارات" لا للجوع، لا للفقر، نعم للحرية"

الأول: صفق، صفق.

"يصفقان"

"يظهر بعد ذلك رجال يرتدون نظارات سوداء، ويظهر بينهم رجل يبدو وكأنه رئيسهم"

الرجل : اقبضوا عليهما.

الثاني: -مترنحاً- لماذا تقبض علينا؟، لقد كنا نصفق.

الرجل: لقد كنتما تصفقان لهؤلاء السفلة، ألا تعلمون بأنهم ليسوا من الشعب؟.

الأول: وماأدرانا، نحن نصفق دائماً لأن الشعب يصفق.

الرجل: اصمت، أنتم خلقتم لتصفقوا لنا وليس لهم.

الثاني: ولكن لم يعلمنا أحد متى نصفق، وكيف نميز من نصفق له؟، قالوا لنا بأننا عندما نصفق فنحن شعب.

الرجل : الآن سأعلمكم لمن تصفقان.

"يشير بيده، فينهال الرجال ضرباً بالسكيرين"

الرجل: الآن هل عرفتم لمن تصفقان؟ -صائحاً- صفقا.

"**لايصفقان**"

الرجل: ألا تريدان أن تصفقا سنرى.

"**يشير ثانية للرجال، فيضربوهم**"

الرجل: -صائحاً- صفقا.

الأول: وهل أبقيت لنا أيد لنصفق لقد كسرتها.

الرجل: سأعلمكم كيف تصفقان من غير أيد.

"**يشير ثالثة فيعاود الرجال ضربهما**"

الرجل: صفقا.

" **لايتحرك الاثنان**"

الرجل: الآن لم يعد منكما فائدة فأنتم لن تصفقا أبداً، لا لهم ولا لنا.

"**يغادر الرجال المسرح بينما السكيران على الأرض**"

الأول: -محاولاً الوقوف- انهض ياصديقي، لقد كنت أعلم أن هذه السكرة مشؤومة، ولكن على الرغم من ذلك فقد كبرت بعيني.

الثاني: -متأوهاً- لماذا؟

الأول: أتعلم أنه لايوجد سكير في التاريخ صفق لقاتله، الزير سالم، امرؤ القيس، طرفة بن العبد، أبو محجن الثقفي، ليس هذا وحسب ، بل في كل مرة ينبذهم قومهم يعودون للقتال معهم ولأجلهم، وكانوا دائماً يقولون:

بلادي وإن جارت علي عزيزة

وأهلي وإن ضنوا علي كرام

والله لقد خشيت أن نصفق فنصبح عاراً على من سبقونا من السكيرين.

الثاني: حقاً، الذي يسكر فقط هو من يبول على قاتله، وكما تعلم فإن الخمرة مدرة للبول.

الأول: ولكن أتعلم الآن فقط عرفت بأن شعبنا لايشرب أبداً.

الثاني: مهلاً، مهلاً، الآن فقط عرفت لماذا حرم الله علينا أن نسكر.

الأول: لماذا وربك؟

الثاني: حتى لاتمتلئ بلادنا العربية برائحة البول.

الأول: -مترنحاً- هل تعلم أن بلادنا تشبه امرأة حزينة.

الثاني: كيف ذلك؟

الأول: لأنه لا أحد يغازلها.

الثاني: وماذا نفعل نحن السكارى؟ لنغازلها.

الأول: حقاً لنغازلها، لأنه لا أحد غيرنا نحن السكارى يعرفون الغزل، هم يعتقدون أننا نسكر لمجرد السكر بل نحن فقط من يذكر بلاده ونغازلها لأنها بالغزل تصبح أجمل.

"يغادر الاثنان المسرح وهما ينشدان:

على اللوما اللوما اللوما ، على اللوما اللوما اللوما

دخل الله ودخل عيونك

ياحلوة ، ويامظلومة

النهاية

* * *

المسرحية الرابعة

الغـوطـــي

الفصل الأول

" **يفتح الستار على زعيم مغطى بالنياشين يلقي خطاباً، وخلفه تظهر لافتة كتب عليها: العيد العاشر للثورة**"

الزعيم : لقد استطعنا خلال هذه السنوات العشر، أن نصنع أمناً واستقراراً لمجتمعنا انعكست على مواطنينا صحة وسعادة.

" **هنا توجه الأضواء نحو امرأة وزوجها وطفلهما**"

المرأة : إن الحمى تكاد تقتل طفلنا يارجل، افعل شيئاً وإلا فقدناه.

الرجل : وماذا أفعل فأنا لا أملك له ثمن الدواء، والعلاج في هذا البلد لم يعد لنا، وأقسم أنني حاولت السرقة مراراً ولم أنجح، فأماكن السرقة ممتلئة، وأنا أنتظر

شاغراً منذ سنوات دون فائدة، فالجميع يشعر بالأمن والاستقرار مع من اختارهم للسرقة قبلي، حتى أنني أقرأ النعوات يومياً عسى أحظى بموت أحدهم، لكن السرقة آمنة والرشوة مستقرة.

المرأة : هذا لأنك ضعيف الشخصية، ومازلت تتعامل مع السرقة باستحياء، بينما أثبت أصدقاؤك جدارتهم منذ البداية، وأنت قاعد تحن إلى آبائك وأجدادك حيث لاسرقة، دون أن تفهم المتغيرات الإقليمية والعالمية والدولية باتجاه الانفتاح، ياضعيف الثقافة والرؤية المستقبلية، يالحظي العاثر منك، وأنا أرى غيري من النساء وأزواجهم من حملة الدرجات العلمية الدنيا – ياواسع الثقافة– يعيشون رغد العيش.

"**تصمت المرأة فجأة ثم تصرخ: ياويلي مات الولد**"

" **تعود الأضواء إلى الزعيم** "

الزعيم: واليوم وفقط اليوم، نعيش سيادة القانون، ولاشيء سوى القانون، حتى أننا لم نعد بحاجة إليه، لأننا وصلنا إلى حالة يستطيع الإنسان أن يقوم المنكر بقلبه، وهذا أعظم الإيمان.

" **توجه الأضواء نحو رجل يرتدي ثياب شرطي وقناعاً كاللصوص وسوطاً يجادل رجلاً** "

الشرطي: أنت تدعي بأن أحداً قد سرقك أليس كذلك ؟

الرجل: نعم يا سيدي دخلت هذا الصباح إلى الدكان فلم أجد شيئاً.

الشرطي: حسناً سنحتجزك لنتأكد إن كنت صادقاً أم لا، وهذا لايظهر لنا إلا حين الإمساك باللص، فإن لم نمسكه فياويلك وياسواد ليلك، لأن ذلك يعني أنه لايوجد لص من أساسه، وأنت كاذب.

الرجل: ولكن حجزي مناف للقانون ياسيدي.

الشرطي: القانون!!!، هذا هو القانون بالنسبة لأمثالك- يشير إلى سوطه- أتريد أن تعلمنا القانون، لو لم تكن كاذباً لما جئت لتشتكي، أيها الساقط الذي يريد أن يعطي صورة للعالم بأن هنالك سرقات في بلدنا، لقد قطعنا يدنا وشحدنا عليها أمام الآخرين من الدول المحسنة، والآن تريد أن تقول لهم بأن لدينا لصوص، ماذا يعطونا بعد ذلك، هلا تفضلت وقلت لي.

" **يخرج الرجل شيئاً من جيبه ويضعه في يد الشرطي**"

الشرطي: ولكن، ولأن القانون رحمة أولاً، و لأنك عرفت خطأك ثانياً، فسوف أعتبر بأن هذه الحادثة بمثابة سذاجة من شخص يجهل القانون، وإياك ثم إياك أن تُسْرَق بعد ذلك.

" **تعود الأضواء إلى الزعيم**"

الزعيم: ولنا اليوم أن نفخر بأبناء الوطن، الذين هم في ازدياد يوماً بعد يوم، حتى أن الجميع يعودون ليبنوا في وطنهم، وينعموا بعد ذلك بالموت في تربة الأجداد، وهذا مانستطيع أن نراه من ازدهار المقابر، وكثرة الوافدين إليها، وهذا إنجاز بحد ذاته، لأسباب عدة ، أولها أننا أوجدنا فرص عمل جديدة، فكم نحن اليوم بأمس الحاجة إلى مقابر جديدة وموظفين فيها للدفن، وثانيها أن الجثث بعد فترة تتحول إلى سماد آزوتي كما قرأنا في دروس العلوم -وعلى فكرة كنت الأول في الصف-، وبالتالي قد نحصل على نفط بعد زمن، مما يؤمن مستقبل أولادنا، فتعالوا ياأبناء الوطن إلى

تربة الأجداد، لأن تربة الأجداد هي خطتنا التي سندخل بها القرن الجديد.

" **توجه الأضواء نحو شخصين يتجادلان** "

الأول: أنت أيضاً تريد أن تهاجر، في الأمس كنا عشرة واليوم لم يبق إلا أنا وأنت لتخبرني أنك مسافر، وهذه البلاد هل نتركها؟، ولمن نتركها؟، وهناك، ماذا يوجد هناك غير النفي، حيث لاجذور، فهناك يفقد الأصحاب ملامحهم القديمة، حتى الأصوات تتغير، فكم كانت دافئة من قبل والآن يتصلون بنا بأصوات أخرى مستعارة لاتعرف ماتقول، وهناك لا أحلام أيضاً، فالوطن وحده من يصنع الأحلام كما يصنع الأصوات، لأن الوطن قضية وهناك لاقضايا لك، فهناك نفقد بصرنا وسمعنا وصوتنا، حتى الحواري القديمة هنا وإن كانت متسخة، فإنها تبقى حواري الوطن التي تنفسناها ونحن أطفال، فهل نتركها عندما نحاول أن نعطيها ونحن كبار.

الثاني: عن أي وطن تتحدث، عن هذا الذي تحول إلى منفى كبير، فأصبح حلمك أن تهرب منه، عن هذا الذي تحول إلى قيود وسلاسل فأصبح حلمك أن تحطمها، وعن أي صوت تتحدث ولسانك ليس أكثر من سمكة متجمدة في حلقك، فهذه البلاد التي أصبحت فيها الحرية موسماً سرية غير مرخص لها بمزاولة المهنة ليست وطناً، وإنما هي مقبرة كبيرة بكل ماتحتويه من بشر، وسكان المقابر لايبدعون وحراس المقابر لايبدعون، ونحن إذ نهاجر فإننا نخفف عن هذه المقبرة التي ضاقت علينا حتى بقبورها، تصور أصبح القبر الواحد عندنا يضم أكثر من عشرة أجساد، رجالاً ونساء أي مختلط، طبعاً من المحارم، لماذا لأن سعر القبر لاتملكه، أما بخصوص الفاتحة التي ستقرأ علي بعد مماتي، فالموت هنا وهناك واحد، وعلى ذكر الفاتحة فحتى أبناء هذا الوطن لم يعودوا يقرؤون الفاتحة على موتاهم، لقد زاف الجميع فوداعاً ياأرضاً عشقناها، ووداعاً ياعمراً فقدناه نحلم، ووداعاً ياصديقاً سيصبح جسده سماداً آزوتياً في المستقبل.

" **عودة إلى الزعيم**"

الزعيم: وأخيراً ياأبناء شعبي فلا يسعني إلا القول لكل واحد فيكم : ارفع رأسك عالياً ياأخي، وكل عيد وأنتم بخير والثورة أعيادها كثيرة، طبعاً كل ذلك لراحة الوطن وراحة موظفيه الذين يعملون دائماً بجد وكيف لا وهناك أمن وصحة وقانون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

" **ينتهي الخطاب ويلتفت الزعيم إلى أحد مستشاريه**"

الزعيم : أتدري، أريد أن أعلم إن فهم شعبي هذا الخطاب جيداً، وإذا وجدت أن هناك شيئاً غير واضح، فإنني أرغب أن أوضحه أكثر إلى أن يحين العيد القادم، حتى يكون خطابي القادم مفهوماً تماماً.

المستشار: أرى يا سيدي أن نقوم بجولة مفاجئة يمكن أن نحصل منها على الجواب الشافي لسؤالك.

الزعيم : ونعم الفكرة هيا بنا.

"**الزعيم وموكبه في السوق، يمر بالمرأة التي مات ولدها وهي تبكي وإلى جانبها ولدها الميت وزوجها**"

الزعيم: يالهذا الطفل الرائع الذي ينعم بالهدوء، هل هو نائم؟

الزوج: نعم ياسيدي، وعذراً من أبناء هذا الجيل الذين لايستحون ويستيقظون لرؤية رجل بعظمتك.

الزعيم: ولماذا أمه تبكي؟

الزوج: إنها فرحة إذ رأتك ياسيدي، وتأكدت بأن مستقبل طفلها واضح، وقد سمعت خطابكم للتو أليس كذلك يازوجتي العزيزة؟

" **تهز الزوجة رأسها بالإيجاب وتزيد من حدة البكاء**"

" **يمر الزعيم بجانب صاحب الدكان الذي سرق**"

الزعيم: مابال دكانك خاوياً أيها الرجل؟

الرجل : الحمد لله ياسيدي الذي شرفتني بهذه الزيارة، لأحدثك عن مدى الازدهار الاقتصادي في بلادنا، فقد بعت جميع بضاعتي، وإن شاء الله سأعود لأشتري غيرها، وأهم مافي الأمر أنني في هذه الأيام لم أعد بحاجة لأقفال لإغلاق الدكان، ذلك أن القانون يسهر على حمايتي دائماً، إنه أمنك واستقرارك ياسيدي.

"يمر الزعيم بالفتى المهاجر وهو يحمل حقائب كثيرة"

الزعيم: إني أرى حقائبك كثيرة أيها الفتى فإلى أين أنت راحل؟

المهاجر: ياسيدي، إني مسافر لأعمل على نقل تجربتنا العظيمة في عهدكم إلى بقية الأمم التي بقيت في ظلامها، إنها الحضارة التي تعلمنا منك ألا نبقيها حكراً علينا، حضارة الحرية والمساواة والقانون.

"يعود الزعيم إلى قصره"

الزعيم: الآن فقط اطمأننت أن شعبي مايزال يفهم ماأريد، آه يامستشاري كم تنعشني رائحة الموت والخراب، فكم شعرت بالنشوة عندما رأيت هذا الطفل الميت في السوق، وكذلك هذا الدكان الذي لم يبق لصاحبه إلا أن يكتب عليه أنه مسروق، وهذا الفتى المهاجر الذي لم يبق شيئاً لم يأخذه معه وكأنه يقول لنا أنه لا يريد العودة أبداً. أنا لا أعتقد بأن أحد أجدادي قد استطاع أن يصل إلى ماوصلت إليه، طبعاً لن أتحدث عن هولاكو وأشباهه ممن

قتلوا شعوباً أخرى لأن كثيرين من فعلوا ذلك، ولكنني أقصد أجدادي ممن قتلوا شعوبهم، فحتى نيرون أحرق روما ولكن روما عادت للحياة، أما أنا فإنجازي العظيم هو الموت مع عدم الصراخ، وقد رأيت ذلك فالأم بدلاً من أن تصرخ في وجهي فقد شكرتني، أليس من العظمة أن ترى أماً لاتصرخ لموت وليدها، وهذا الرجل الذي سرق إنني أعجب من رجل لم يتبق له شيء كيف لايصرخ!!، وكذلك هذا الفتى الأحمق الذي يسافر لينقل تجربتنا –يضحك بقهقهة- إنها الروعة أن ترى شعباً يموت ولايصرخ.

المستشار: حقاً ياسيدي، إنه لإنجاز لم يحققه سواك.

الزعيم: أتعلم، كثيراً ماتراودني الفكرة التي تحدث عنها هذا الفتى المهاجر، في نقل تجربتنا في الموت إلى غيرنا، كم هو جميل تصدير الموت، وكم هي رائعة رائحة الجيف، لقد كان أجدادي يعتقدون أن الموت يأتي عن طريق السلاح والمعارك، كم كانوا

قصيري النظر، فالموت تستطيع أن تصنعه باستخدام الفكر أيضاً، ذلك أنك لاتستطيع أن تستخدم سلاحاً في كل مرة، أما الفكر فهو القادر على تحويل سجونك إلى مدارس لإعادة التأهيل، وهو القادر على جعل ظلامك نهاراً، والفكر نحن من نصنعه، فانظر من حولك ترى زيف الشعر، فشعراء اليوم نحن من أسماهم بالشعراء، فمنتدياتنا مفتوحة لهم فقط حتى أنسينا الناس شعراءهم الحقيقيين فنسي الناس الأسماء الضخمة وبقيت أسماؤنا، وكذلك المفكرون نحن من أسماهم كذلك وأعطيناهم أسماءهم وحتى شهاداتهم، والأهم من ذلك الغوطي ونحن من صنعنا له لحيته، لأن لحيته من أمضى الأسلحة لدينا، إنها فكر بحد ذاته، فالناس قد تستطيع ألا تسمع الشاعر وكذلك المفكر، ولكن الغوطي لا لا أعتقد.

الفصل الثاني

"يرفع الستار على أناس يتراكضون وشخص يسير بعكس الاتجاه يصطدم به أحدهم"

الأول: مابالك أيها الرجل ألا ترى.

الثاني: بالله عليك لم الركض؟ هل هناك من يتبعكم؟

الأول: أبداً أبداً

الثاني: إذا هناك تنزيلات معينة في المؤسسة!!

الأول: مسكين أنت، إنه يوم درس سيدنا الغوطي، الحمد لله الذي جعل لنا في هذا البلد رجلاً مثله يهدينا ويعلمنا أمور ديننا ودنيانا – ينظر إلى ساعته– ياإلهي لقد تأخرت وأخشى أن أفوت شيئاً، فإما أن تدعني أو تذهب معي.

الثاني: سأذهب معك.

" الغوطي محاط بعدد من الناس"

الغوطي: إن حالنا الاقتصادية أيها الأخوان رهن برجوعنا إلى الله تعالى، في كل يوم يتأكد لي أننا نبتعد عن الله،

وهاهو المطر قد احتجب عنا طويلاً، طبعاً وكيف يهطل المطر على بلد فيها داعرات، طبعاً البعض يريد أن يجعلنا نتجه بأنظارنا إلى وجود سرقة أو رشوة، ولكن هذا لايدل إلا على نظرة قاصرة من هؤلاء الذين ضعف إيمانهم، وكتابي الأخير والذي هو بعنوان "**الدعارة أبعادها ومدلولاتها**" والذي هو نتيجة تجربة عملية في الوسط الداعر، جعلني أعرف خطر الدعارة على حرب المياه المستقبلية، ذلك أن داعرة واحدة تكفي لجعلك تشرب سطلاً من الماء بالساعة، وكم من مرة اجتمعت بزعيمنا وحدثته هذا الحديث فبكى وبكى وكما تعلمون أن العين التي تبكي من خشية الله لاتمسها النار.

"**الغريب هامساً : كان يبكي أم كان يحشو بالدموع البندقية** [1]"

الغوطي: -يتابع- نعم كان يبكي لأنه لايستطيع أن يوقف الدعارة، وإلا اتهم من الغرب بأنه يحارب الحريات العامة، إنها الشعرة التي ينتظرونها أن تقطع، ليتهموا

1 من قصيدة "**مديح الظل العالي**" لمحمود درويش.

زعيمنا بالدكتاتورية، ولكنه فوت عليهم هذه الفرصة مرات ومرات، وكفى الله المؤمنين شر القتال، ولكن هلا أخبر أحدكم الداعرات بأن يتوقفوا – يبكي ...– طبعاً نريد أن نتبع أسلوب الإقناع، حتى لانتهم بالتعصب، وتلك شعرة أخرى ينتظرنا الغرب أن نقطعها، وأنا أبحث اليوم في خطة عمل نستفيد فيها من الداعرات، فأخبروهم بأن مستقبلهم عندي مضمون، وأن الدين يَجُبُّ ماقبله، ولينظروا كم من داعرة قبلهم هديتها وجعلتها بعد زمن تظهر على جميع المحطات الأرضية والفضائية كداعية، تستطيعون أن تميزوا ذلك من كلامها وبكائها الذي لاتجيده إلا الداعرات.

"–**يصيح أحدهم– الله عليك ياشيخ.**" " **الغريب وهو ينظر بدهشة إلى الذي يصيح:تقصد الله عليك ياست.**"

الغوطي: وأختم كلامي أيها الأخوة بالدعاء لزعيمنا، الذي يجب أن تطيعوه، حتى وإن كان عبداً حبشياً كأن

رأسه زبيبة[1]، والرسول الكريم شدد في ذلك حين قال أن طاعته واجبة وإن جلد ظهرك وأخذ مالك إن ذلك يؤمن لك تذكرة سفر إلى الجنة من نوع One way أي دون عودة.

"أحدهم صائحاً: سأدعو الله من كل قلبي أن يقوم زعيمنا بجلد ظهرك وأخذ مالك لأننا نحب حقاً أن نراك في الجنة ياسيدي" .

الغوطي: طبعاً أنتم لاتدركون، المغزى الحقيقي من ذلك، فالجلد هو لأهداف صحية، لأنه أحدث طريقة لإخراج الدم الفاسد بدلاً من الحجامة القديمة، أما أخذ مالكم فهو واضح حتى لاتسول لكم أنفسكم بإنفاقه على ملذاتكم فتحيد أقدامكم عن الجنة.

"أحدهم صائحاً: يامحمـــــــــد "

الغوطي: أترون بُعْدَ النظر عند زعيمنا، إن مقعده جاهز في طائرة الجنة و مقعده من نوع First Class أي الدرجة الأولى، فأطيعوا من صنع لنا هذه الوحدة

---

1 عن الحديث في صحيح البخاري: "**اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة**".

الوطنية، أطيعوا من جعلنا نحب بعضنا، هيا قبلوا بعضكم يا أخوتي هيا "يبكي....".

" يقبل كل اثنين بعضهما وهم يحملون من خلف ظهورهم سكيناً"

" يغادر الجميع ويبقى الغريب مشدوهاً بما رآه وسمعه، إلى أن يوقظه صوت من أتى به إلى خطاب الغوطي"

الأول: مابالك ساهماً وكأن شللاً أصابك، لابد وأن خطاب سيدنا الغوطي قد أثر بك، كيف لا وأنت تسمعه لأول مرة، وأنا أعذرك فقد سبق وحدث لي ذلك عندما سمعته لأول مرة.

الثاني: **منشداً:**

طلبوا منا أن نشطر الرب نصفين

ولكنا اختجلنا

إننا نؤمن بالله

لماذا جعلوا الله هنا من غير معنى[1]

الأول: ومن هذا الذي يطلب منك مثل هذا الطلب؟

---

1 مقطع من قصيدة "**ياست الدنيا يابيروت**" لنزار قباني.

الثاني: هذا الغوطي وأمثاله من خبراء التخدير.

الأول: إني أعجب منك ومن أمثالك ممن تحدث عنكم سيدنا الغوطي، أكلما ظهر لنا رجل يدعونا إلى الله تقفون ضده !!.

الثاني: بل أنا من يجب أن يعجب كيف يقف الفقراء ضد أنفسهم، يقفون مع رب الغوطي الذي يقتات من مراحيض القصور، ربه الذي يجعل منا دائماً سبب كل بلاء، ومن نحن!!، نحن من أكلونا ولفظونا بعد ذلك قرفاً من عظامنا الناتئة.

الأول: إنه يعمل كذلك إلى أن يقف الإسلام على قدميه.

الثاني: سنين طويلة أسمعونا هذا الكلام، بهذه الكلمات وقفوا على مقلتينا ألا نبكي لأن البكاء من سمات الشك بالله وعدم الصبر، ولكني أعلم بأن الله هو من خلق لنا الدمع، فلماذا يمنعونه؟، قصوا لنا أظافرنا، ولكني أعلم بأن الله هو من خلق لنا الأظافر لنضعها في عنق من سلب حقوقنا، أرادوا لأفواهنا أن تكون بلا ألسنة، ولكني أعلم أن الله هو من خلق ألسنتنا لنقول كلمة حق عند سلطان جائر، فقؤوا عيوننا التي

خلقها الله لنا لنرى فقرنا ولصوصية الآخرين، لقد جعلونا وثنيين نؤمن بإله غير الله الذي نعرفه، فالرب رحمة، وربهم ماعرفنا فيه إلا التجبر والقسوة، إنهم يخبروننا كل يوم أنه ليس ربنا بل ربهم فقط، ولكننا نؤمن بالله ، نؤمن بالله.

الأول: إن قدمك بدأت تحيد عن الجنة.

الثاني: إن كانت قدمي كذلك فقد حادت أقدام كثيرين قبلي، لقد زيفوا كل شئ في حياتنا، فالشهيد جعلوه إرهابياً، وكذلك جعلوا كل من قالوا كلمة حق عند سلطان جائر كالأفغاني والكواكبي وعبده وقبلهم وابن رشد والسهروردي، كيف لا وهم وحدهم من يملكون سلم الدرجات وهم من وضع الله بأيديهم أجوبة الامتحان النهائي، فأعطوا الصفر من أرادوا وأنجحوا من أرادوا، ولكننا نؤمن بالله نؤمن بالله.

الاول: سأدعو الله أن يغفر لك، لأن الغوطي يعلمنا التسامح، ولكني رغم ذلك أرى إلحادك.

"يغادر الأول المسرح"

الثاني: "ينشد"

أحمل لبلادي حين ينام الناس سلامي
للخط الكوفي يتم صلاة الصبح
بإفريز جوامعها
لشوارعها
لعلي يتوضأ بالسيف قبيل الفجر
أنبيك علياً:
مازلنا نتوضأ بالذل
ونمسح بالخرقة حد السيف
مازلنا نتحجج بالبرد وحر الصيف
مازال كتاب الله يعلق بالرمح العربية!
مازال أبو سفيان بلحيته الصفراء
يؤلف باسم اللات
العصبيات القبلية
مازالت شورى التجار ترى عثمان خليفتها
وتراك زعيم السوقية!
لو جئت اليوم
لحاربك الداعون إليك
وسموك شيوعية[1]

---

1 من قصيدة "**وتريات ليلية**" لمظفر النواب.

الفصل الثالث

"يرفع الستار على لوحة كتب عليها العيد الخامس والعشرين للثورة، يظهر الزعيم جالساً على عرشه، وإلى جواره مستشاره"

الحاجب: سيدي، الشيخ الغوطي يطلب رؤيتكم سيدي.

الزعيم: هل مازلنا بحاجة إلى هذا الرجل.

المستشار: دائماً ياسيدي.

الزعيم: أدخلوه إذاً لنرى مايريد.

الغوطي: -يتجه بسرعة باتجاه الزعيم- كل عام وأنتم بخير ياسيدنا وزعيمنا من وجبت طاعته علينا، والذي بشر بك سيدنا محمد في كثير من أقواله، حتى أنني حلمت البارحة حلماً وأنت تعلم ياسيدي أن أحلامي على قمر صناعي Digital، حلمت بأن سيدنا عمر وأبي بكر قد همسا لي ليخبراني بأن عدد المبشرين بالجنة أصبح أحد عشر رجلاً.

الزعيم: -مقاطعاً- وأبنائي وأحفادي.

الغوطي: عذراً ياسيدي فلقد أخبراني أيضاً بأن الله سبحانه وتعالى بصدد الإعلان عن شواغر لهذه الوظيفة، وأنا ولأنني عارف بالله وسنة نبيه أعلم جيداً بأن الله لن يجد أفضل من عائلتك، وأعتقد بأن الحلم القادم سيكون تأكيداً على ذلك، وكذلك ليسألوا عن نوع القصر الذي تريده في الجنة وكيف تحب أن يكسى، وإن كنت تريد في حمامك جاكوزي، أما عن الشارع الذي سيقام به القصر فلا تسأل فقد اختارك سيدنا ونبينا محمد لتكون بجواره، ويبدو أن سعر المتر في تلك المنطقة مرتفع جداً .

الزعيم: كم تعجبني رؤياك يا شيخنا، ولكن دعنا الآن من الآخرة وحدثني عن الدنيا، فما أخبار أبنائي في بلدنا تلك.

الغوطي: ماأجمل كلمة أبنائي التي صدرت منك ياسيدي، وكم هم محظوظون بأب مثلك، يسأل عن أحوالهم، حتى أنك جعلت لكل واحد من يتبعه، خشية أن يتغيب عن منزله، فلا تستطيع أن تنام خشية أن يكون مع صحبة السوء.

الزعيم: وهل حسن إسلامهم.

الغوطي: إسلامهم من أحسن الإسلام، كيف لا وهم يحققون شرط طاعتك وطاعة أولي الأمر.

الزعيم: أتعلم كم أنا حزين على أبنائي الآخرين الذين وضعتهم في مدارس إعادة التأهيل التي يصر الغرب على تسميتها سجوناً، وأنا أصر على أنها مدارس تأهيل لأنها كذلك، فهم يأكلون ويشربون ويقرؤون الصحف، حتى أنني وضعت بينهم العديد من الشعراء والمفكرين ورجال الدين أيضاً، أي أن مدارسي تلك تحوي جميع الفئات وجميع الأعمار، لقد قمت بعملية نقل مصغرة للحياة الخارجية، كل ذلك حتى لايشعروا بأن هناك اختلافاً بين الداخل والخارج.

الغوطي: وأضيف بأنك بعملك ذلك تضمن لهم الجنة لأنك لن تتيح لهم أن تزل قدمهم بأن يخرجوا وتسول لهم أنفسهم بإعادة ارتكاب الكبائر، وهكذا من هذه المدارس إلى القبر فالجنة ولكن قد يكون هناك

ترانزيت في النار لقاء مافعلوه في السابق، من الخروج على أولي الأمر.

الزعيم: ولكن هل صحيح بأن الجوع قد عم البلاد، حتى أن أعداءنا يتحدثون عن وجود سرقات كثيرة.

الغوطي: أبداً، أبداً، إنما هو امتحان من الله، وكيف تحدث السرقات، وانتم تشرفون بأنفسكم ياسيدي على مؤسسات الوطن.

الزعيم: آه ياشيخنا، أفكر بأن أقوم بجولة أطمئن بها على أبنائي.

الغوطي: كم هم سعداء بك ياسيدي.

" يرفع الستار على أناس ممددين على الأرض وكأنهم أموات، ويدخل الزعيم والغوطي وهما يسيران بينهما، يتعثر الزعيم بأحدهم"

الزعيم: -صائحا- ماهذه الزبالة في هذا الشارع، يبدو أن عمال النظافة هنا لايقومون بعملهم جيداً ويجب أن يعاقبوا.

"طفل يبكي أمام جثة جدته"

الزعيم: مالذي يبكيك أيها الشقي.

الطفل: لا أجد ماأستر بـه أفخـاذ جـدتي ياسـيدي، وسـيدنا الغوطي أخبرنـا بأنـه مـن المعيـب أن تظهـر أفخـاذ الجدة، لأنها عورة.

الغوطي: أرأيت ياسيدي إلى أين وصـل الالتـزام بالـدين فـي عهدكم.

"**يمران بإمراة تحمل طفلاً بيدها، وتطعم آخراً** "

الزعيم: يقولـون أن عنـدنا جوعـاً، فليـأتوا ليشـاهدوا وفـرة الطعام.

"**يمسك الزعيم بالصحن يقربه منه ثم يبعده بسرعة**"

الزعيم: ماهذا الطعام، وماهذه الرائحة النتنة.

المرأة: إنه قيء ولدي المحمـوم ياسـيدي ، أطعمـه لأخيـه الآخر.

الغوطي: أرأيت ياسيدي، لقد صح إسلامها إذ تتخوشن، وقد كان الرسول ابن امرأة تأكل القديد في مكة.

"**يمسك الرجل الأول في الفصل الثاني بقدم الغوطي ، وهو ممدد على الأرض**"

الرجل: -صارخاً- "سرقونا".

الغوطي: اتركني، اتركني، أصبح لدينا في هذا البلد مشكلتان، أنت والدعارة.

"**ينهض الرجل متثاقلاً** "

الرجل: -صائحاً-سرقونا.

الغوطي: دعارة.

"**يخرج الزعيم مسدسه ويطلق النار باتجاه الرجل فيسقط**"

الزعيم: الآن تستطيع أن تقول دعارة لأن أحداً لن يجيبك.

"**ينهض رجل آخر متثاقلاً أيضاً**"

الرجل: -صائحاً- سرقونا.

الغوطي: دعارة.

"**يطلق الزعيم النار عليه أيضاً**"

"**ينهض الممددين على الأرض صائحين: سرقونا**"

الزعيم: -مشيراً إلى الغوطي- هذا من سرقككم.

" **يتجهز الزعيم للمغادرة تاركاً الغوطي، لكنه يقف فجأة، مشيراً بيده، فيتوجه حرس الزعيم إلى الغوطي ليخلعوا له ذقنه ولفته وعباءته** "

الزعيم: كدت أنسى أن هذه لنا، يبدو أن الوقت قد حان لظهور الغوطي الجديد.

"**يظهر رجل آخر يرتدي نفس اللباس وله نفس اللحية ومن حوله جمع كثير**"

الرجل: ولست بحاجة للتأكيد على دور الدعارة في احتجاب المطر.

النهاية

* * *

المحتويـات

الصفحة

الإهــداء..... 5

مقدمة..... 7

المسرحية الأولى: الاغـتـصــاب 13

المسرحية الثانية: الأحـلام تعـود دائمـاً 42

المسرحية الثالثة: سَـــكْـرَة 75

المسرحية الرابعة: الغـوطــي 100

* * *

من المقدمة

- مصطفى بطيخة يحول مشكلات الأمة وهمومها إلى مشكلاته وهمومه، وتبدو أهمية ذلك إذا ماعرفنا أن كاتبنا ينتمي إلى جيل الشباب الذي لم يعش مرحلة النهوض الناصري القومي، ولم يتشرب بذلك الحماس الذي طبع جيل الأحلام.

- إنه المثقف الكاتب الذي يعيش تجربة الهزيمة وشيوع اليأس وظهور الداعية النكوصي، وهو رغم هذا كله يقدم نصاً ممانعاً متمرداً مفعماً بالأمل، نصاً يؤكد إرادة الحياة التي تسعى ايديولوجيا الهزيمة لكسرها، نصاً جوهره "**اللا**" في عالم أدمن "**النعم**" الكاذبة.

- أنها فكرة تؤكد انحياز مصطفى بطيخة إلى الكتابة بوصفها فعلاً مكافحاً، فعلاً جمالياً يختزن في داخله الانتماء إلى البشر ومستقبلهم.

أ.د.أحمد نسيم برقاوي